تقوية المعنى بأسلوب القصر
في شعر حَسَن بِن مُصَبِّح الحِلِّيّ (١٢٤٧-١٣١٧هـ)

أ.د. صباح عطيوي عبُّود
نور راهي غانم
جامعة بابل/كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

Strengthening the Meaning with Limitation Style in the Poetry of Hassan bin Musabbeh Al-Hilli (1247-1317 AH)

Prof. Dr. Sabah Atiwi Abboud
Researcher Nour Rahi Ghanem
University of Babylon/College of Education for Human Sciences

الملخَّص

تناول هذا البحث تقوية المعنى بأسلوب القصر في شعر حَسَنٍ بنِ مُصَبَّح الحِلِّيّ، وهو يرمي إلى دراسة أسلوب القصر دراسة مفصَّلة، ومعرفة أنماطه، وتسليط الأضواء على الأبيات الشعريَّة التي تضمُّ أسلوب القصر، وتحديد مواضع القصر فيها، وكذلك يهدف البحث إلى تحليل بعض أبيات أسلوب القصر، وقد اشتملت دراسة بحثنا هذا على جميع طرق القصر التي استعملها الشاعر، ماعدا القصر بضمير الفصل، الذي لم يرد في شعره، ومن هذه الطرق التي استعملها القصر بالنفي والاستثناء، والقصر بطريق (إنَّما)، والقصر بطريق العطف (لا، بل)، والقصر بأداة التعريف (أل)، وأخيرًا القصر بطريق تقديم ما حقُّه التأخير.

الكلمات المفتاحيَّة: حسن بن مصبِّح الحِلِّيّ، تقوية المعنى، أسلوب القصر.

Abstract

This research dealt with strengthening the meaning with the style of limitation in the poetry of Hassan bin Musabah Al-Hilli. It aims to study the style of limitation in detail, know its patterns, and shed light on the poetic verses that include the style of limitation and specifying the places of limitation in them. The research also aims to analyze some of the verses of the limitation style. The study of my research included all the limitation methods that the poet used, except limitation with the disjunctive pronoun, which did not appear in his poetry. Among these methods he used limitation in the negative and exception, limitation in the way of but, and limitation in the conjunction (no, Rather), limitation it with the definite article (al), and finally limitation it by presenting what is caused by delay.

Keywords: Hassan bin Mosbeh Al-Hilli-Strengthening the meaning - limitation style.

مقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

أمَّا بعد:

فإنَّ أسلوب القصر هو أسلوبٌ بلاغيٌّ نحويٌّ عُنيَ بهِ البلاغيُّون والنُّحاة، ويقصد بـهِ تخصيـص شيء بشيء آخر، وقصره عليه، ويحـدث في الجملَتَين الاسـميَّة والفعليَّة، ويعـدُّ من درجـات التوكيـد العالية، وله فائـدة كبيرة في توكيـد الكلام وإكسـابه قوَّة عاليـة، وتمكين المعنـى وتقريره في ذهن المتلقِّي. والقصر على أنـواع، مثل القصر بالنفي والاسـتثناء، والقصر بطريق (إنَّـما)، والقصر بـ(أل) التعريفيَّـة، والقصر بأداتَي العطف (لا، بـل)، أو قـد يكون من غير أداة، مثل القصر بالتقديـم والتأخير، فيكون هذا النوع بتقديم بعض عناصر الجملة على بعضها؛ لغرض القصر والعناية بالمتقدِّم.

وهذا البحث دراسـة في الأبيات التي تضمُّ أسلوب القصر في ديوان الشاعر حسن ابن مُصبِّح الحِلِّيّ، وتحليلها وفق السـياق الشـعريّ الذي وردت فيه، إذ لا بدَّ من معرفة هذا الأسلوب وطرقه؛ لما له من أثر كبير في توكيد المعنى وتقويته، وختمنا البحث بأهمِّ النتائج التي توصَّلنا إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع.

وشـمل هـذا البحـث جميـع طـرق القـصر وأنماطـه، مـا عـدا القـصر بضمـير الفصـل، الذي لم يرد في شـعر الشـاعر حسـن بـن مُصبِّح الحِـلِّيّ، وقد انتظـم البحث في ما يأتي:

- القصر بالنفي والاستثناء.
- القصر بطريق (إنَّما).
- القصر بطريق العطف (لا، بل).
- القصر بأداة التعريف (أل).
- القصر بطريق تقديم ما حقّه التأخير.

أوَّلًا: القصر بالنفي والاستثناء

من الثابت أنَّ القصر «صورة توكيديَّة تعتمد في أداء وظيفتها على الأداة»[١]، وطريق القصر بالنفي والاستثناء، «المراد بالنفي فيه كلُّ ما يؤدِّي معنى النفي من أدواته (ما، لا، إنْ، ليس، لَمْ، لَنْ)»[٢]، وكذلك (هل) «المستعملة في النفي مثل قوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ (الرحمن: ٦٠)»[٣]، بمعنى «ما جزاءُ الإحسان إلَّا الإحسان، من قصر الموصوف على الصفة. والمراد بالاستثناء أيضًا كلُّ ما يؤدِّي معناه من أدواته، مثل (إلَّا، غير، سوى)، تقول: لَمْ يغب عن المحاضرة سوى طالبٍ واحدٍ، فقد قصرت صفة الغياب على موصوف، هو الطالب الذي تخلَّف عن المحاضرة»[٤]، ونقول في الاستثناء بـ(غير): «ما جاءني غيرُ زيد»[٥].

ولـمَّا كان القصر توكيد الكلام وتمكينه في أذهان السامعين[٦]، فالتوكيد بطريق النفي، وإلَّا هو «أبلغ طرق القصر وأقواها، ولذا فهو يستعمل في تأدية المعاني الغريبة التي تحتاج إلى فضل تأكيد، وإلى زيادة تقرير، فهو يدفع الأنكار، ويصحِّح الأفكار»[٧]، «والمفارقة بين النفي والإثبات تزيد الكلام تأكيدًا

(١) في النحو العربيّ (نقد وتوجيه)، د. مهدي المخزوميّ: ٢٣٨.
(٢) الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ من علم المعاني، الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ٨٦.
(٣) أسلوب التوكيد في القرآن، محمَّد أبو الفتوح: ١٧٧-١٧٨.
(٤) الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ، الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ٨٦.
(٥) دلائل الإعجاز في علم المعاني، الشيخ عبد القاهر الجرجانيّ: ٣٤٢.
(٦) ينظر: أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس: ١٧٥.
(٧) الأداء الجماليّ في البناء التركيبي، د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ٨٦.

وقوَّة»[١]. إذن القصر بالنفي والاستثناء يفيد تقوية المعنى، ويجعل الكلام أكثر توكيدًا، ففي النفي والاستثناء يكون موقع المقصور عليه دائمًا بعد (إلَّا)[٢].

ووظيفة (إلَّا) في الاستثناء المفرغ الحصر، إذ إنَّها تحصر حكم ما قبلها في ما بعدها؛ لذلك سمِّيت أداة حصر[٣]. ونرى أنَّ (ما، وإلَّا) أفادت القصر؛ لأنَّ (إلَّا) معناها الأصليّ هو الاستثناء، ونقصد بالاستثناء أنَّنا نُخرج ما بعد إلَّا من حكم المستثنى منه، فإذا لم يكن المستثنى منه موجودًا، فيكون الحكم منحصرًا في ما بعد (إلَّا)، وفي الوقت نفسه، كانت (إلَّا) مسبوقة بأداة نفي أو شبه نفي، فيكون الاستثناء مفرَّغًا، ويفيد القصر.

ويُستخدم النفي والاستثناء إذا كان هناك أمر يشكُّ فيه المخاطب وينكره[٤]، كقولك «لصاحبك، وقد رأيت شبحًا من بعيد (ما هو إلَّا محمَّد) إذا وجدته يعتقده غير محمَّد، ويصرُّ على الإنكار»[٥]. فنجد هذا الأسلوب يدلُّ على التوكيد بما فيه «من قصر الصفة على الموصوف، أو قصر الموصوف على الصفة، فنقول في قصر الموصوف على الصفة إفرادًا: (ما زيدٌ إلَّا شاعرٌ)، وقلبًا: (ما زيدٌ إلَّا قائمٌ)، وتعيينًا كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ (يس: ١٥)، أي لستم في دعواكم للرسالة عندنا كاذبون فيها»[٦].

(١) تجلِّيات الجمال في أسلوب القصر (بحث منشور)، عبد الرحيم محمَّد الهبيل: ١٩/ ٩٧٧.
(٢) ينظر: الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ، د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ٩٩.
(٣) ينظر: نحو المعاني، د. أحمد عبد الستَّار الجواريّ: ١٣١.
(٤) ينظر: ظواهر تركيبيَّة في مقابسات أبي حيَّان التوحيديّ (دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة)، د. سعيد حسن بحيري: ٩٦.
(٥) البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير: ١٧٦.
(٦) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ: ١٢٥.

وفي قصر «الصفة على الموصوف إفرادًا، نقول: ما شاعرٌ إلَّا زيد.. لمن يرى الشعر لزيد ولعمرو. وقلبًا: ما شاعرٌ إلَّا زيدٌ، لمن يرى أنَّ زيدًا ليس بشاعر»[1]. وتحقيق وجه القصر «في الأوَّل أنَّه متى قيل: (ما زيدٌ) توجَّه النفي إلى صفته»[2]، لا ذاته؛ لأنَّ «أنفس الذوات يمتنع نفيها، وإنَّما تُنفى صفاتها، وحيث لا نزاع في طوله ولا قصره ولا سواده ولا بياضه، وإنَّما النزاع في كونه شاعرًا أو منجِّمًا، تناولهما النفي، فإذا قلت: إلَّا شاعر، جاء القصر؛ وتحقيق وجه القصر في الثاني هو: أنَّك متى أدخلت النفي على الوصف المسلَّم ثبوته، وهو وصف الشعر، وقلت: ما شاعر، توجَّه بحكم العقل إلى ثبوته للمدَّعى له.. فتناول النفي ثبوته لذلك، فمتى قلت: إلَّا زيد، أفاد القصر»[3].

نخلص من ذلك إلى أنَّ هناك فرقًا بين الجملَتين (ما زيد إلَّا شاعر)، و(ما شاعرٌ إلَّا زيد)، ففي الجملة الأولى خصَّصنا زيد بصفة الشعر، ونفينا عنه أي صفة أخرى، وجاء هذا التخصيص بالنفي والاستثناء. أمَّا في الجملة الثانية (ما شاعر إلَّا زيد)، فقد قصرنا الشعر على زيد، ونفينا أن يكون غير زيد شاعر، وكذلك جاء القصر في هذه الجملة بالنفي والاستثناء.

إذن القصر هو من «ضروب الإيجاز الذي هو أعظم ركن من أركان البلاغة، إذ إنَّ جملة القصر في مقام جملَتَين، فقولك (ما كاملٌ إلَّا الله) تعادل قولك: الكمالُ للهِ، وليس كاملًا غيرُه»[4].

وورد أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في ديوان حسن مُصبِّح في مواضع عديدة، منها:

(١) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٤٠٢.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ: ١٢٥.
(٣) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٤٠٢.
(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ: ١٨٧.

الموضع الأوَّل: القصر بالنفي والاستثناء بـ(إلَّا)

وردت (إلّا) مسبوقة بمجموعة متنوعة من أدوات النفي في ديوان حسن مُصبّح ومن هذه الأدوات:

١. القصر بـ(ما) و(إلّا):

جاء القصر بـ(ما) و(إلَّا) في ديوان حسن مُصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله مُهَنِّئًا السَّيِّد حُسَينَ ابنَ المَرْحُومِ الميرزا صَالِحٍ القزوينيَّ في عُرْسِهِ[١]:

فَـمَا الحُـبُّ إلَّا جَمْـرَةٌ يَصْطَلِي الحَشَى
لَـوَافِحَـهَـا حَـتَّـى تُـذَوَّبَ بِالصَّهْرِ

استعمل الشاعر أسلوب القصر المتكوِّن من أداة النفي (ما)، وأداة الاستثناء (إلَّا)؛ لأجل تقوية المعنى، وتأكيد أنَّ الحبَّ هو حرقة في القلب، فأراد الشاعر من هذا الاستعمال تخصيص صفة الجمر بالموصوف (الحُب).

وقال الشاعر حسن مُصبِّح في الغزل[٢]:

فَـمَا الحُـبُّ إلَّا زَفْـرَةٌ وَتَـأَسُّـفُ
وَشَـوْقٌ لَـهُ سُـحْـبُ المَـدَامِـعِ تَـذْرِفُ

قصر الشاعر الموصوف (الحب) على الصفة (زفرة) باستعماله أسلوب القصر المتكوِّن من (ما) أداة النفي، و(إلَّا) أداة الاستثناء، فالغرض من استعماله هذا الأسلوب هو تقوية المعنى، وتأكيد أنَّ الحبَّ هو ألم وندم وحنين، له سُحب المدامع تُذرِفُ.

(١) ديوانه: ٢/ ٣٧٨.
(٢) ديوانه: ٢/ ٤١٣.

ومن ذلك قوله راثيًا بِنْتَ المِيرزا جَعْفَرٍ، وَمُعَزِّيًا أَخاها السَّيِّد مُوسَى[1]:

فَمَا المَالُ والأهْلُونَ إلَّا وَدِيعَةٌ

وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تُرَدُّ الوَدَائِعُ

وهذا البيت للبيد العامريّ، ضمَّنه الشاعر حسن مُصبِّح الحِلِّيّ ضمن شعره. ونجد هنا في هذا البيت أسلوب القصر المتكوِّن من أداة النفي (ما)، مع أداة الاستثناء (إلَّا)، والغرض من هذا الأسلوب هو تأكيد أنَّ المال والأهل أمانات، ولا بدَّ من يومٍ تُردُّ فيه هذه الأمانات.

٢. القصر بـ(لا) و(إلَّا):

ورد القصرُ بـ(لا) و(إلَّا) في ديوان حسن مُصبِّح في مواطن عديدة، منها قوله في تهنئة زبدة العلماء وعمدة الفضلاء السيِّد مَهديّ القزوينيّ، في زواج ولد ولده الأشيم السيّد هادي ابنِ الميرزا صالح[2]:

لا يُضَاهِي عُلَاهُ في الفَخْرِ إلا

عَلَمُ الدِّينِ فَيْصَلُ الأحْكَامِ

أكَّد الشاعر هذا البيت باستعمال أسلوب القصر، وهو (لا مع إلَّا)، وأفاد هذا الأسلوب تقوية المعنى، وتأكيد أنَّه يضاهي عُلاه في الفخر راية الدين فيصلُ الأحكام الذي يفصِلُ بين الأحكام ويبيِّنها.

وقال الشاعر أيضًا في رثاء الإمام العبَّاسِ عليه السلام[3]:

(١) ديوانه: ٢/ ٢٩٤، وينظر: ديوان لبيد العامريّ: ١٧٠.

(٢) ديوانه: ٢/ ١٥.

(٣) ديوانه: ١/ ١٤٢.

تِـلْـكَ الأَمَـــانِيُّ لا يَـقُـومُ بِـحَـمْـلِـهَـا
إلّا الَّـــذِي يُـلْـقَـى لَـــهُ الـتَـقْـلِـيـدُ

استعملَ الشاعرُ أسلوب القصر الذي يكمن في (لا مع إلَّا)؛ لإكساب المعنى قوَّة، وتأكيد أنَّ تلك الأماني يحملها الشخص الذي يُقتدى به ويُحتذى به دون غيره.

ولهُ أيضًا مُخمِّسًا أبيات الفرزدق في الإمام عليِّ بنِ الحُسينِ عليهما السلام[1]:

يُـغْـضِي حَـيَـاءً ويُـغْـضَى مِـنْ مَـهَـابَـتِـهِ
فـــلَا يُـكَـلَّـمُ إلَّا حِـــينَ يَـبْـتَـسِـمُ

فاستعملَ الشاعرُ أسلوب القصر المتكوِّن من أداة النفي (لا)، وأداة الاستثناء (إلَّا)؛ لأجل تقوية المعنى، فمعنى البيت «إنَّه خجول يغضُّ طرفَه ولا يتحدَّق به، والناس يُغضُّونَ ويُغضُّونَ طرَفَهم من دونِه تهيُّبًا، ولا قِبَلَ لهم بالتحدُّث إليهِ إلَّا حينَ يبتَسِمُ، وكأنَّما يُسمَح لهُم بالكلام»[2]. وفي كلٍّ ما تقدَّم، وردت (لا) النافية داخلة على الفعل المضارع.

٣. القصر بـ(لم) و(إلَّا):

ورد القصر بـ(لم) و(إلَّا) في ديوان حسن مُصبِّح في مواطن عديدة، منها قوله في مدح أمير المؤمنين عليّ عليه السلام[3]:

لَمْ تَـــرْضَ لِيْ نَـفْـسٌ وَأَنْـــتَ أَمِـيرَهَـا
إلَّا الـتَّـمَـسُّـكَ في ولائِـــكَ يَـا عَـلِيّ

(١) ديوانه: ١/ ١٦٩، وينظر: ديوان الفرزدق: ٢/ ١٧٩، وهو في الديوان بـ(ما) بدلًا من (لا).
(٢) شرح ديوان الفرزدق: ٢/ ٣٥٤، هامش١١.
(٣) ديوانه: ١/ ٥٨١.

إذ استعمل الشاعر أسلوب القصر المتمثِّل في أداة النفي (لم)، مع أداة الاستثناء (إلَّا)؛ لأجل تقوية المعنى، كأنَّه يقول: لم ترضَ لي نفس وأنت أميرها، إلَّا الالتزام والاعتصام في ولائك يا عليّ، أي إنَّه قصر رضاء النفس على التمسُّك في ولاء الإمام علي عليه السلام.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا راثيًا المرحومَ الشَّيخ عبدَ اللهِ العِذاريّ طاب ثراه[1]:

وَحَافِلُ مَدْمَعِي لَمْ يَرْضَ إلا
بِسُقيا ذَلِكَ الجَدَثِ العَطِيرِ

نجد الشاعر استعمل أسلوب القصر المُتكوِّن من أداة النفي (لم)، مع أداة الاستثناء (إلَّا) تقويةً للمعنى، وتأكيد أنَّ حافلَ مَدمَعي يرضى بِسُقيا ذاك القبر العطير.

وَلَهُ أيضًا في رثاءِ المرحومِ الشيخِ جعفرٍ الشوشْتَريّ[2]:

مَلِكٌ مَلَّكَ الهُدَى أيَّ نَفْسٍ
لَمْ يصِفْها إلَّا العَلِيُّ الحَمِيدُ

نجد الشاعرَ قصر وصف النَّفس على العليِّ الحميدِ، أيْ إنَّ هذه النفس لم يشخِّصها ويصفها إلَّا العلي الحميد، والذي دلَّ على هذا المعنى، هوَ أسلوب القصر المتكوِّن من أداة النفي (لم)، وأداة الاستثناء (إلَّا).

٤. القصر بـ(ليس) و(إلَّا):

وقد جاء في ديوان حسن مُصبِّح في مواطن عديدة، منها قوله في رثاء الإمامِ الحُسين عليه السلام[3]:

(١) ديوانه: ٢/ ٣٢٦.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٤٥.
(٣) ديوانه: ١/ ٤٩٢.

وَلَـيـسَ مَـآلُ الـعَـبْـدِ إلَّا لـسَـيِّـدٍ
كَـريـمٍ عَـلَى الـبَـارِي بِـهِ الـكَـرْبُ يَـنْجَلي

أكَّد الشـاعر المعنى باستعماله أسـلوب القصر المتكوِّن من أداة النفي (ليس)، وأداة الاسـتثناء (إلَّا)، والغرض من هذا الاسـتعمال هو تقويةٌ للمَعنى، وتأكيد رجوعِ العبدِ لسيِّدٍ سخيٍّ على الباري، بهِ الهمُّ والضيقُ يُزاحُ وينجلي.

ومن ذلك قوله في مدح الجَوادينِ عليهما السلام[1]:

وَلَـيْـسَ يَـبُـثُّ الـعَـبْـدُ إلَّا لِـسَـيِّـدٍ
تَـسَـامَـى عُـلًا فِي دَارِةِ الـفَـخْـرِ وَالمَـجْـدِ

نجد الشـاعرَ في هذا البيت استعمل أسـلوب القصر، وهو أداة النفي (ليس)، مع أداة الاسـتثناء (إلَّا)؛ لجعـل المعنى أكثر توكيـدًا وقوَّة، والدلالة عـلى أنَّ العبدَ لا يُظهرُ ما في داخِله إلَّا لسيِّدٍ ارتفع عُلًا في دارة الفخر والمجد.

وقال الشاعر مُقَرِّظًا كتابَةِ الشَّيخِ مُحَمَّد طَه نَجَف، على مَعالِم الأُصولِ[2]:

إذَا مَـا عَـدَدْنَـا الـسّـابـقِـينَ إلى الـعُـلا
فَـلَـيْـسَ نَـرَى إلَّاكَ أسْـبَـقَ سَـابِـقِ

اسـتعمل الشـاعر أسـلوب القصر المتمثِّل بأداة النفي (ليس)، مع أداة الاسـتثناء (إلَّا)؛ تقويةً للمعنى، وتأكيد أنَّك أوَّل المتقدِّمين في الرِّفعة والشَّرف والمنزلة.

٥. القصر بـ(هل) و(إلَّا):

وردت (إلَّا) أداة الاسـتثناء مسـبوقة بشـبه نفـي، وهـو (هـلْ) التـي خرجـت لمعنـى النفـي في ديـوان حسـن مُصبِّـح في موضعـين، منهـا: قولـه مُقرِّظًـا العِقْـد

(١) ديوانه: ١/ ٧٢٨
(٢) ديوانه: ٢/ ٣٢١

المُفَصَّل المَذكور[1]:

وَهَــلْ لِـلـعُـلا مَـغْـنًـى تَــرُوْقُ نَـضَـارَةً
خَمَـائِـلُـهُ إلَّا وَمَجْـــدُكَ نَــازِلُــهْ

استعمل الشاعر أسلوب القصر، وهو حرف الاستفهام (هل) الذي يحمل معنى النفي، وأداة الاستثناء (إلَّا)؛ لغرض تقوية المعنى، وتأكيد أنَّ للعُلا مسكنًا تروقُ أشجارُه نضارةً، وغرَّتُك قد حُلَّت به.

ولَه أيضًا تخميسُ أبياتٍ بإلتماسِ السَّيد الميرزَا صالِحٍ[2]:

فَـقُـلْـتُ لِـنَـفْـسِي إنَّهَـا قَـمَـرُ المَـهَـا
وَهَــلْ يُـنْـظَـرُ الأقــمارُ إلَّا مِـنَ الـبُـعْـدِ

إذ خرجت (هل)، وهي أداة الاستفهام، في هذا البيت إلى معنى النفي، أي لا ينظر الأقمار إلَّا من البعد، «فخروج (هل) عن أسلوب الاستفهام الحقيقيّ إلى أسلوب التوكيد، معنى فيه من القوَّة والإيجاز الشيء الكثير، لذلك عَدَّ البلاغيُون القصرَ أحدَ أنواعِ الإيجاز، وهو الإيجازُ بالقصر»[3].

الموضع الثاني: القصر بالنفي، والاستثناء بـ(سوى)

وردت (سوى) مسبوقة بمجموعة من أدوات النفي في ديوان حسن مُصبِّح، ومن هذه الأدوات هي:

١. القصر بـ(ما) و(سوى):

وقد ورد ذلك في ديوان حسن مُصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في مدح

(١) ديوانه: ٢/ ٢٠٥.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٥٢.
(٣) من نحو الجملة إلى نحو النصّ (دراسة أسلوبيَّة في شعر أبي تمَّام)، أ. د. سامي علي جبَّار: ١٨٦.

الجَوادين عليهما السلام[١]:

كَظَمْتُ عَلَى غَيْظِي وَقُلْتُ فَمَا لَهَا
سِوَى كَاظِمِ الغَيْظِ المُؤَمّلِ بِالْقَصْدِ

أكَّد الشاعرُ بـ(ما مع سوى) تقويةً للمَعنَى، وتأكيد أنَّهُ ليس له إلَّا الإمامُ الكاظِمُ عليه السلام، الذي يلجأ إليه في الشدائد، لذلك سيطر على نَفسِه عندَ الغضبِ، وكتمَ حُزنه.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا في مدح أميرِ المؤمنينَ عليه السلام[٢]:

وَمَا لِي سِوَى مَن صَرَّحَ الذِّكْرُ بِاسْمِهِ
إمَامُ هُدًى في اللهِ أفعَالُهُ سَوَا

استعمل الشاعر أسلوب القصر بـ(ما مع سوى) تقويةً للمعنى، وتأكيد أنَّ لَه أميرَ المؤمنين الذي صرَّح القرآن باسمِهِ، وهو إمامٌ يدعو إلى الخير والصَّلاح، وأفعاله في طاعة الله دليل على ذلك.

وله أيضًا في مدحِ أميرِ المُؤمنينَ عليه السلام[٣]:

مَا لِي سِوَى الكَرَّارِ مَأْمُولُ
إنِّي امْرُؤٌ بِالحُبِّ مَتْبُولُ

جاء القصر في هذا البيت بـ(ما وسوى) تقويةً للمعنى، وتأكيد أنَّه لا يرجو إلَّا أميرَ المُؤمنين، وأنَّه امرؤ بالحُبِّ أُصيبَ قلبُه بالكراهية والحقد.

(١) ديوانه: ١/ ٧٢٨.
(٢) ديوانه: ١/ ٥٨٧.
(٣) ديوانه: ١/ ١٨٦.

٢. القصر بـ(لا) و(سوى):

جاء القصر ب (لا) مع (سوى) في ديوان حسن مُصبِّح في موضعَين، منها قوله في عتاب بعضِ أُمَراءِ العَرَبِ[١]:

لا أَرَى مَنْ يَذُبُّ عَنِّي سِوَى اللهِ
وَحَسْبِي بِهِ وَلِيًّا نَصِيرَا

أكَّدَ الشاعرُ المعنى باستعمال أسلوب القصر، وهو أداة النفي (لا)، مع أداة الاستثناء (سوى)، للتأكيد على أنَّ الله هو الذي يَحميه وينصره لا غيره، وكذلك يعينه على تحمُّل الصعاب والهموم، والغرض من هذا الأسلوب هو تقوية المعنى في نفوس المخاطَبين.

وقالَ الشاعرُ حَسن مُصبِّح أيضًا في رِثاء المرحومِ الشّيخِ جَعفر الشّوشتَريّ[٢].

نَشَأَتْ لا تَرَى سِوَى اللهِ مَوْلى
وَسِوَاهُ مِنَ الوَرَى لا تُرِيدُ

استعملَ الشاعرُ طريق القصر، وهو أداة النفي (لا) مع أداة الاستثناء (سوى)؛ لجعل المعنى أكثر توكيدًا وقوَّةً، والدلالة على رؤية هذه النفس منذ النشأة اللهَ حاكِمًا، ولا تريدُ غيرَه.

٣. القصر بـ(لن) و(سوى):

ورد القَصر بأداة النفي (لن) مع (سوى) في ديوان حسن مُصبِّح في موضع واحد، هو قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام[٣]:

(١) ديوانه: ٢/ ٢١٥.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٤٥.
(٣) ديوانه: ١/ ٥٤٢.

خَشِيتَ وَلَنْ تَخْشَى سِوَى اللهِ واحِدٍ
وَهَلْ رَاعَ قَلْبَ اللَّيْثِ في الرَّوْعِ صَارِخُ

أكَّد الشاعر هذا البيت بأسلوب القصر، وهو أداة النفي (لن)، مع أداة الاستثناء (سوى)؛ تقوية للمعنى، وتأكيد أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام يخاف ويخشى اللهَ وحده، ولا يخاف من أحدٍ غيره.

٤. القصر بـ(لم) و(سوى):

جاءَ القصرُ بـ (لم) و(سوى) في ديوان حسن مُصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في رثاء الإمام الحُسَينِ عليه السلام[١]:

يُضِيءُ دَاعِي الوَغَى مِنْ بَدْرِ غُرَّتِهِ
شِهابُهُ السَّيْفُ لَمْ يَخْطِفْ سِوَى العُمُرِ

استخدم الشاعر طريق القصر بأداة النفي، وهي (لم)، مع أداة الاستثناء، وهي (سوى)؛ تقويةً للمعنى، وتأكيد أنَّ مهمَّة السيف هي خطف الأرواح.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا مهنِّئًا السيِّد حُسَين ابنَ المرحومِ الميرزا صالِح القزوينيّ في عُرْسه[٢]:

بِعُرْسِ ابنِ مَجْدٍ طَاهِرِ الثّوبِ لَمْ يَزُرْ
سِوَى مُحْصَنَاتِ الفَضْلِ خَالِدةِ الذِّكْرِ

أكَّد الشاعر النصَّ بأداة النفي (لم) مع أداة الاستثناء (سوى)؛ تقويةً للمعنى، والدلالة على أنَّه يزور فقط محصَّناتِ الفضل، خالدة السيرة، «والبيت فيه كناية عن

(١) ديوانه: ١/ ٦٠٣.
(٢) ديوانه: ٢/ ٣٧٩.

طهارة المَمدوحِ، ونقاءِ نفسه، وخلودِ سيرتِهِ»[1].

وله أيضًا في رثاء الإمامِ الحُسينِ بنِ عليٍّ عليهما السلام، قوله[2]:

جَـــذْلَانُ يَـلْـقَـى الجَـمْـعَ مُـدَّرِعًـا
بِـالـصَّـبْرِ، لَمْ يَخْـطِـفْ سِـوَى الْـمُـهَـجِ

أكَّد الشاعر المعنى بأسلوب القصر بأداة النفي (لم)، مع أداة الاستثناء (سوى)، تقويةً للمعنى، والتأكيد على أَنَّ الإمام الحسين عليه السلام في المعركة «مطمئن وجذلان، وخطف المهج هو كناية على قتل الأعداء»[3]، فضلًا عن تأكيد قتل الأعداء بصبر وثبات.

٥. القصر بـ(ليس) مع (سوى):

ورد القصر بـ (ليس) مع أداة الاستثناء (سوى) في ديوان حسن مُصبِّح في مواضع عديدة منها قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام[4]:

ثَـقُـلَـتْ عَـلَـيَّ الـنَّـائِـبَـاتُ فَـلَـيْـسَ لي
مِـنْـهَـا سِـوَى صِـهْـرِ الـنّـبـيِّ غِـيَـاثُ

أكَّد الشاعر هذا النص بطريق القصر، وهو أداة النفي (ليس)، مع أداة الاستثناء (سوى)؛ تقويةً للمعنى، والدلالة على أَنَّه يلجأ إلى الإمام عليٍّ عليه السلام، فهو المعين له والمساعد له عندما تشتدُّ عليه المصائب والشدائد.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا في مدحِ النبيّ صلى الله عليه وآله[5]:

(١) ديوانه: ٢/ ٣٧٩، هامش٢.
(٢) ديوانه: ١/ ٦٢٦.
(٣) ديوانه: ١/ ٦٢٦، هامش١.
(٤) ديوانه: ١/ ٥٣٢.
(٥) ديوانه: ١/ ٧٠٨.

فَاعْفُ عَنِّي وَكُنْ شَفِيْعًا فَإِني
لَسْتُ أَرْضَى سِوَى وَلاكُمْ حَمِيما

إذ استعمل الشاعر أسلوب القصر بـ(ليس مع سوى)؛ لأجل تقوية المعنى، والدلالة على أنَّه يرضى فقط بقربه وطاعته لهم، ولا يرضى بقرب غيرهم.

ومن ذلك قولُه يمدحُ بعضِ أُمَراءِ العَربِ العِظام[1]:

لَيْسَ يُنْجِيهِمُ سِوَى السِّلْمِ مِنْهُ
لا حُصُونٌ تُنْجِيهِمُ وَقُصُورُ

أكَّد الشاعرُ المعنى بأداة النفي (ليس) مع أداة الاستثناء (سوى)؛ لجعلِ المعنى أكثر قوَّة، ولدفع الشكِّ وتأكيد أن أُمراء العَرب يُنجيهم فقط المصالحة والسِّلم، لا حُصون ولا قصور تُنقذهم.

الموضع الثالث: القصر بالنفي والاستثناء بـ(غير)

جاءت (غير) مسبوقة بمجموعة من أدوات النفي، في ديوان حسن مُصبِّح، ومن هذه الأدوات:

١. القصر بـ(ما) و(غير):

ورد القصر بـ(ما) و(غير) في ديوان حسن مُصبِّح في موضعَين، منها قولُه في رثاء والدةِ السَّيِّد لافي ابنِ السَّيِّدِ سَعيدٍ[2]:

أَكْرِمْ بِزائِرةِ القُبُورِ وَقَبْلَ ذَا
مَا زَارَهَا غَيْرُ الْحِمَامِ الْمُخْمِدِ

(١) ديوانه: ٢/ ٢٦٥.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٢٤.

أكَّد الشاعر المعنى باستعماله أسلوب القصر، وهو أداة النفي (ما) الداخلة على الماضي، مع أداة الاستثناء (غير)، فمعنى كلام الشاعر هو أكرِم بزائرة القبور التي زارها قبل ذلك الموت.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا في رثاءِ العبَّاس عليه السلام[1]:

خَفِرَاتٍ مَا شِمْنَ غَيرَ خُدُودٍ
عُقِدَتْ غُرَّةً بِهَامِ الضُّرَاحِ

استعمل الشاعر أسلوب القصر، وهو أداة النفي (ما)، مع أداة الاستثناء (غير)؛ لغرض تقوية المعنى في نفوس السامعين.

٢. القصر بـ(لا) و(غير):

ورد القصر بـ(لا) مع (غير) في ديوان حسن مُصبِّح في موضع واحد فقط، في قوله في رثاء الإمام الحُسينِ بنِ عليٍّ عليهما السلام[2]:

ثَلْمَةٌ لا يَسُدُّهَا غَيْرُ شَهْمٍ
هُوَ عَنْ كُلِّ سُنَّةٍ بَحَّاثُ

استعمل الشاعر أسلوب القصر، وهو (لا) الداخلة على المضارع، مع أداة الاستثناء (غير)؛ لأجل تقوية المعنى، وتأكيد أنَّ هذه الثغرة لا يقدر على سَدِّها إلَّا الإنسان الذي له القدرة على تحمُّل الصِّعاب.

٣. القصر بـ(لم) و(غير):

ورد القصر بـ(لم) مع (غير) في ديوان حَسن مُصبِّح في موضعين، منها قوله في رثاء

(١) ديوانه: ١/ ١٠٧.
(٢) ديوانه: ١/ ٦٢٣.

الإمام الحُسين عليه السلام[١]:

ظِـــمَاءَ قُـــلُـــوبٍ ثَـــوَتْ فِي الهَـجِـيرِ
وَلَمْ تَـنْـتَـهِـلْ غَـــيرَ فَـيْـضِ الـدِّمَـا

أفادَ أسـلوب القصر هنا بـأداة النفي (لم)، مع أداة الاسـتثناء (غير)، تقوية المعنى، وتأكيد أنَّ ظِماء قلوبٍ ثَوت في الهجير وسُقِيت فيضَ الدِّماء.

وقالَ أيضًا في رثاء المِيرزا جَعفرٍ، وكَانَ في طَريق الحَجِّ[٢]:

فَـانْـصَـاعَ لَمْ يَخْـشَ غَـيْرَ اللهِ فِي عَـمَـلٍ
وَلَا عَـلَى الـغَـيْـبِ فِي شيءٍ بِـمُـتَّـهَـمِ

فالشـاعر في هذا البيت قصَر الخشية على الله وحده، ولا يخاف من غيره، والغرض من هذا القصر تقوية المعنى.

٤. القصر بـ(ليس) و(غير):

ورد القصر بـ(ليس) مع أداة الاستثناء (غير)، في ديوان حسن مُصبِّح في موضعين، منها قوله في رثاء الإمام الحسين بن عليٍّ عليهما السلام[٣]:

وَلَـيْـسَ لَـهَـا غَـيْـرَ الـزَّفـيرِ تَـسـرُّعٌ
بِـأَحْـشَـائِـهَـا يَـذكُـو وَلَمْ تُـظْـهِـرِ الشَّكْوى

استعمل الشاعر أسلوب القصر ،وهو أداة النفي (ليس)، مع أداة الاستثناء (غير)، تقويةً للمعنى، فهيَ لا تظهر الشكوى ممَّا بها، إنَّما تظهر الزفرات دليلًا على ذلك.

(١) ديوانه: ١/ ٧٢٢.
(٢) ديوانه: ٢/ ١١٣.
(٣) ديوانه: ١/ ٦٨٧.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا في رثاء الإمام الحسنِ بن عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليهم)[1]:

فَـغَـدَا مُـفْـرَدًا وَلَـيْـسَ لَـدَيْـهِ
غَـيْرَ رَهْـطٍ مِـنْ آلِـهِ الـنُّـصَّـاحِ

أكَّد الشاعر البيت بأسلوب القصر، وهو أداة النفي (ليس)، مع أداة الاستثناء (غير)، والغرض من ذلك تقوية المعنى، فالشاعر أراد القول «ازدادت بصيرة الإمام الحسن عليه السلام بخذلان القوم له، وفساد نيَّات المحكّمة فيه، بما أظهروه له من السبِّ والتكفير، واستحلالِ دمِه، ونَهبِ امواله، ولم يبقَ معه من يأمن غَوائلَه إلَّا خاصَّة من شيعته وشيعة أبيهِ أمير المؤمنين عليه السلام، وهم جماعة لا تقومُ لأجناد الشام»[2].

(١) ديوانه: ١/ ١٠٠.

(٢) الإرشاد في معرفة حُجَجِ اللهِ على العِباد، الشيخ المفيد، الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان العُكبريّ البغداديّ: ٢/ ١٣.

ثانيًا: القصر بطريق (إنَّما)

(إنَّما) هي أداة مكوَّنة من جزأين، فالجزء الأوَّل (إنَّ)، والجزء الثاني (ما)، فـ(إنَّ) نقصد بها حرف توكيد، اتَّصلت بها (ما) الزائدة، فكفَّتها عن العمل، وأزالت اختصاصها بالجمل الاسميَّة، وأصبحت (إنَّ) تدخل على الجمل الاسميَّة والجمل الفعليَّة، وزيد فيها معنى التوكيد[١].

وهي طريقة «من طرق القصر المشهورة، لدى جمهور علماء البلاغة، تقول قصر الموصوف على الصفة إفرادًا، أو قلبًا أو تعيينًا، بحسب المقام: إنَّما زيد شاعر، وتقول في قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارات الثلاثة، وبحسب المقام: إنَّما الشَّاعر زيد»[٢]. فمن دخولها على الجمل الفعليَّة، «كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: ٢٨)، ويكون المقصور عليه مؤخَّرًا»[٣]، ففي هذه الآية تقديم وتأخير مع (إنَّما)، فقدَّم المفعول به، وهو (الله)، على الفاعل، وهو (العلماء)؛ لأنَّ المطلوب من سياق هذه الآية هو اختصاص العلماء فقط بخشية الله، لكن غير العلماء لا يخشون الله[٤]، وفائدة (إنَّما) في الكلام هو اثبات الفعل لشيء، ونفيه عن سواه، فإذا قلنا: (إنَّما جاءني زيدٌ)، فُهِمَ إثبات المجيء لزيد، ونفيه عن غيره[٥]، والدليل على أنَّ (إنَّما) تفيد القصر

(١) ينظر: أسلوب التوكيد في القرآن، محمَّد أبو الفتوح: ١٨١-١٨٢.
(٢) أساليب القصر في أحاديث الصحيحَين ودلالاتها البلاغيَّة، د. عامر بن عبد الله: ١/ ٤٤-٤٥.
(٣) التراث اللغويّ العربّي، بوهاس، جيوم، كولوغلي: ١٩١.
(٤) ينظر: أسلوب التوكيد في القرآن، محمَّد أبو الفتوح: ١٨٣.
(٥) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجانيّ: ٣٣٤.

أمـور، منها: «الأوَّل: كونها متضمِّنة معنى (مـا) و(إلَّا)، لقول المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ (البقـرة: ١٧٣)، بالنصب، معناه (ما حرَّم عليكم إلَّا المَيتـة). والثاني: لقول النحـاة إنَّ (إنَّما) لإثبات ما يذكر بعدها، ونفي ما سـواه»[١]، ويذكـرون لذلـك «وجهًا لطيفًا، يُسـنَد إلى عليّ بن عيسـى الربعيّ، وأنَّـه كان من أكابر أئمَّة النحو ببغداد، وهو أنَّ كلمة (إنَّ)، لـمَّا كانت لتأكيد إثبات المسـند للمسـند إليه، ثمَّ اتَّصلـت بها (مـا) المؤكِّدة لا النافية، على ما يظنُّه من لا وقـوف له بعلم النحو، ضاعف تأكيدها، فناسـب أن يضمن معنى القصر؛ لأنَّ قصر الصفة على الموصوف، وبالعكس، ليس إلَّا تأكيدًا للحكـم على تأكيد»[٢]. أمَّا الثالث، فهو «لصحَّة انفصال الضمير معها، مثـل: (إنَّما يـضرب أنا)، أي: (ما يضرب إلَّا أنا)»[٣]. وأنا أؤيِّـد قول النحاة؛ لأنَّ (إنَّما) أشدّ قوَّة من غيرها من ناحية توكيد المثبت، والغرض من الإتيان بـ(إنَّما) تذكير المخاطب بشيء معروف وثابت. قال عبد القاهر الجرجانيّ: «اعلم أنَّ موضوع (إنَّما) على أنَّ تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يَدفعُ صحَّته، أو لما يُنزَّلُ هذه المنزلة. تفسير ذلك أنَّك تقولُ للرجـل: (إنَّـما هو أخوك، وإنَّما هـو صاحبك القديم)، لا تقوله لمـنْ يجهل ذلك ويدفعُ صحَّتـه، ولكـنْ لِـمَن يَعْلمُه ويُقرُّ بـه. إلَّا أنَّك تُريد أنْ تُنَبِّهَهُ للـذي يجب عليه من حقِّ الأخ، وحُرمة الصاحب»[٤].

ممَّا سـبق يتَّضح لنا أنَّ النفي والاسـتثناء يسـتخدم لخبر يجهله المخاطب، أمَّا (إنَّما) فتُسـتخدم لخبر لا يجهلـه المخاطب، أي خبر معروف لدى المخاطـب، وقد يأتي القصر بـ(إنَّما).

(١) البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن: ١٧٤.
(٢) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٤٠٣.
(٣) البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن: ١٧٤.
(٤) دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجانيّ: ٣٢٨.

«للتَّعريض والتَّلويح، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الرعد: ١٩)، فإنَّه تعريض بِذَم الكُفّار، وأنَّهم من فرط العِناد وغَلَبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل. ففي هذه الآية تأكيد لهذا المعنى، وهو أنَّ الكُفَّار لا عقل لهم حيث إنَّهم لا عقل لهم»[١]. وجاء هذا المعنى الذي «أُريدَ تأكيده من الاختصاص الذي أفادته (إنَّما)؛ لأنَّ الاختصاص في (أولوا الألباب)، أي إنَّ أُولي الألباب مختصُّون بالتذكُّر دون غيرهم، وهم الكفَّار، فجاء التوكيد بالاختصاص بالتَّذكُّر، ونفي هذا التذكر عمَّن عداهم»[٢].

ورد القصر بـ(إنَّما) في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في تَهْنِئَةِ السَّيِّد حَيْدَرٍ الحِلِّيِّ في زواجِ وَلَدِهِ السَّيِّد حُسَينٍ[٣]:

إِنَّـمَا الْمُسْرِفُ مَنْ صَانَ الحِبَا
دُونَ عَلْيَاهُ بِوَجْهٍ أَنْبَسِ

استعمل الشاعر لفظة (الحِبا)، ومعناها في تاج العروس «العطاء، يقال: حَبَا فُلانًا حَبْوًا، وحَبْوَةً يعني أعطاهُ بلا جزاءٍ ولا مَنٍّ أو عامٌّ»[٤]، ونجد الشاعر في هذا البيت قصر الإسراف على الذي صان العطاء، والذي دلَّ على هذا التخصيص، هو أداة القصر (إنَّما) التي دخلت على الجملة الاسميَّة.

وقال الشاعر أيْضًا مُهَنِّئًا سَلْمَانَ الحاجّ باقِر الطَّبيبَ في عُرْسِ ولدِهِ المحروسِ سَعِيد[٥]:

(١) أسلوب التوكيد في القرآن، محمد حسين أبو الفتوح: ١٨٣-١٨٤.
(٢) المصدر نفسه: ١٨٤.
(٣) ديوانه: ٢/ ٤٣.
(٤) تاج العروس من جواهر القاموس (مادة حبو)، للسيد محمَّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ: ٣٧/ ٣٩٣.
(٥) ديوانه: ٢/ ٣٣٨.

إِنَّـــمَا الـــنُّـــسْـــكُ إِلَـــيْـــهِـــمْ نُـــسِـــبَـــا
وَسِـــــوَاهُـــــمْ فِي الـــعُـــلَا لَمْ يُـــذْكَـــرِ

أفاد القـصر بـ(إِنَّما) تقوية المعنى والتخصيص، أي جعلَ النسـك مختصًّا بهم فقط، وغيرهم في الرِّفعة لم يُعرَف.

وَلَهُ أَيْضًا مُخَمِّسًا قَصِيدةَ السَّيِّد حَيْدَر فِي مَدْحِ صَحْنِ الإمَام الكاظِم عليه السلام[1]:

إِنَّـــمَا أَنْـــتَ جَـــنَّـــةٌ ضَرَبَ اللهُ
عَـلَـيْـهَـا- كَـجَـنَّـةِ الخُـلْـدِ- سُـوْرَا

أكَّد الشـاعر بـ(إِنَّما) قوله: (أنت جَنَّـة)؛ لغرض تقوية المعنى والقصر والتأكيد على أنَّ الله منحـك مكانة رفيعة، وهناك مؤكِّد آخر، وهو الجملة الاعتراضيَّة (كجنَّة الخلد)، والغرض من اجتماع توكيدين، هوَ المبالغة في التوكيد.

ومن ذلك قولهِ في مدح محمَّد آل رشيدٍ أمير جبل شمَّرٍ[2]:

إِنَّـــمَا أَرْتَجِـــي بِـــهِ عِـــزَّ نَـفْـسٍ
مِـــنْ عُـــلَا عِـــزِّكُـــمْ تَـــرُومُ

أفادت(إِنَّـمَا) القـصر والتوكيـد، وكفَّت (مـا) (إنَّ) وهيَّأتها للدخـول على الجملة الفعليَّة.

(١) ديوانه ١/ ٢١٤.
(٢) ديوانه: ٢/ ٣٧٥.

ثالثًا: القصر بطريق العطف (لا، بل)

أ. العطف بـ(لا):

تأتي «لنفي الحكم عن المفرد بعد إثباتِهِ للمتبوع، وهي تعطف بأربعة شروط:

الأوَّل: أنْ يكون معطوفها مفردًا لا جملة نحو: هذا نبيلٌ لا خليلٌ، ونحو: أشتريتُ كتبًا لا أقلامًا، **والثاني**: أن تُسبقَ بإيجاب»[١]، وكذلك أن تقع بعد نداء، نحو: يا زيد لا عمرو، أو تقع بعد أمر، نحو: اضْربْ زيدًا لا عمرًا[٢]، أمَّا **الشرط الثالث**، فهوَ: «ألَّا يصدق أحد معاطفيها على الآخر»[٣]، **والشرط الرابع**: «ألا يكون مدخولها صفة لسابقٍ مذكورٍ أو خبرًا لَهُ أو حالًا منه»[٤]. فإذا قلنا: زيد شاعر لا كاتب، قصرنا الموصوف زيد على الصفة (شاعر) عن طريق العطف بـ(لا)، وهذا القصر يسمَّى قصر إفراد؛ لأنَّ المخاطب كان متردِّدًا بين الصِّفَتين، فلمَّا استعملنا القصر بـ(لا) العاطفة، أزلنا الشبهة، وأثبتنا صفة الشعر لزيد، ونفينا عنه أي صفة أخرى[٥]. ونقول في «قصر الموصوف على الصفة قلبًا: زيدٌ قائمٌ لا قاعدٌ»[٦]، ولكن نقول في «قصر الصفة على

(١) نحو اللغة العربيَّة، محمَّد أسعد النادريّ: ٦١٤.
(٢) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيَّة بن مالك: ٢/ ٢٣٥.
(٣) النحو التطبيقيّ، د. هادي نهر: ٢/ ١٠٥٢.
(٤) نحو اللغة العربيَّة، د. محمَّد أسعد النادريّ: ٦١٤.
(٥) ينظر: أسلوب التوكيد في القرآن، محمَّد أبو الفتوح: ١٨٤.
(٦) الإيضاح في علوم البلاغة، القزوينيّ: ١٠٠.

الموصوف بالاعتبارين: زيد شاعر لا عمرو»[١].

وكذلك فإنَّ القصر بالعطف نحو «(جاء محمَّدٌ لا خالدٌ)، فإنَّما يكون بين أمرَين، أو أمـور تثبت بعضًا منها وتنفي بعضًـا، فقولك: (جاء محمَّد لا خالد) إنَّما ثبت فيه المجيء لمحمَّد، ونفيه عن خالد»[٢].

ويكـون «موقـع المقصور عليه مـا قبلها»[٣]، فهنـاك اختلاف بين القـصر بـ(إنَّما)، والقـصر بالعطـف، فمع (إنَّما) يعقـل منها إيجاب الفعـل لشيء ونفيه عن سـواه في آن واحد[٤]، أمَّا معَ العطف، فالأمر متردِّد بهما في الحالين[٥].

ورد القصر بـ(لا) العاطفة في ديوان حسـن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام[٦]:

ضَـــوْءُ الَّـلـيَـالي أَنْـــتَ لا مِـصْـبَـاحُـهَـا

وَنَهَـــارُهَـــا بِـــذُكَـــاءِ نُـــورِكَ أَوْمَـضَـا

أفـاد القـصر بـ(لا) قـصر الحكم على المعطـوف عليـه، أي تأكيد أنَّه ضـوء الليالي لا مصباحها، ونهارها بذكاء نورك أضاء.

وقال الشاعر حسن مصبِّح أيضًا في الرِّثاء[٧]:

هَـــوَى سَـــاجِـــدًا للهِ لا صَـعِـقًـا وَلا

نَـــزَا قَـلْـبُـهُ خَـوْفًـا ولا خَـفَّ سَـاعِـيَـا

(١) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٤٠٠.

(٢) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ٢/ ٢٥١.

(٣) أساليب البيان، أ.د. فضل حسن عبَّاس: ١٧٦.

(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ: ١٣٠.

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الشيخ عبد القاهر الجرجانيّ: ٣٣٤.

(٦) ديوانه: ١/ ٥٦٢.

(٧) ديوانه: ١/ ٥٩٨.

أفاد القصر بـ(لا) تقوية المعنى، وتأكيد أنَّه هوى ساجدًا لله، لا مصروعًا، ومن ذلك قوله[١]:

والمُجْتَبَى الزَّاكِي بِسُمٍّ شَقَاهُمُ
لا سُمٍّ (جَعْدَةَ) نَالَهُ الضَّرَّاءُ

فقصر الشاعر (بِسُمٍّ) على الموصوف الحسن المجتبى عليه السلام بأداة العطف (لا)، وأفاد هذا القصر تقوية المعنى.

ب. العطف بـ(بل):

ومن شروط العطف بـ(بل) أن يليها مفرد[٢]، وأنْ تكون مسبوقة «بنفي أو نهي»[٣]، أو «إيجاب أو أمر»[٤]، لكن معناها يُحدَّد من الأسلوب الذي يقع قبلها[٥]، فإذا وقعت بعد «إيجاب أو أمر، نحو: (جاء محمَّد بل خالد)، و(أكرمَ سالمًا بل خالدًا)، فهي للإضراب، وذلك أنَّها تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه»[٦]، فلا يحكم عليه «بشيء وثبوت الحكم لما بعد، وفي هذا تأكيد لما بعدها»[٧]، فقولك: «(جاء محمَّد بل خالد)، يعني أنَّ الذي جاء هو خالد، وأمَّا محمَّد فيجوز أنَّه جاء، ويجوز أنَّه لم يَجِئْ، وقولك: (أكرم سالمًا بل خالدًا)، أضربت فيه عن الكلام الأوَّل، وأمرت بإكرام خالد، وأمَّا (سالم) فمسكوتٌ عنه. وليست (بل) ناهية عن إكرام

(١) ديوانه: ١/ ٢٦٧.
(٢) ينظر: نحو اللغة العربيَّة، محمَّد أسعد النادريّ: ٦١٢.
(٣) الواضح في القواعد النحويَّة والأبنية الصرفيَّة، د. محسن عليّ عطيَّة: ١٣١.
(٤) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ٣/ ٢٥٨.
(٥) ينظر: نحو اللغة العربيَّة، محمَّد أسعد النادريّ: ٦١٢.
(٦) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ٣/ ٢٥٨.
(٧) اسلوب التوكيد في القرآن، محمَّد أبو الفتوح: ١٨٥.

سالم»[1]، وأمَّا إذا وقعت بعد نفي ونهي، فيكون معناها مثل (لكن)، بحيث تكون فائدتها تقرير حكم الذي يسبقها وإثبات ضدّه للذي بعدها، نحو: (ما قام زيدٌ بل عمرٌو)، و(لا تضرب زيدًا بل عمرًا)، ففي هاتين الجملتَين قامت (بل) بتقرير حكم النفي والنهي، وإثبات القيام لعمرو، والأمر بضرب عمرو[2]. نخلص من ذلك إلى أنَّ (بل) تكون حرف عطف إذا وليها مفرد وسبقت بأمر أو إيجاب أو نفي ونهي، لكن معناها يتحدَّد من الأسلوب الذي يتقدَّمها، فإذا سُبقت بأمر أو إيجاب؛ فإنَّها تفيد الإضراب، أمَّا إذا سُبقت بنفي أو نهي؛ فإنَّها تفيد الاستدراك بمعنى (لكن).

ويكون موقع المقصور عليه في العطف بـ(بل) بعدها[3]، ففي قولك: «(ما شوقي خطيبًا بل شاعرًا)، فإنَّ معناه نفي الخطابة عنه، وإثبات الشاعريَّة له، وهذا هو معنى القصر، فالمقصور هو (شوقي)، والمقصور عليه (الشاعر)»[4]، كما تقول في «قصر الموصوف على الصفة، إفرادًا أو قلبًا بحسب مقام السامع: (ما زيدٌ منجِّمٌ، بل شاعرٌ»[5]، ومثال «قصر الصفة على الموصوف إفرادًا أو قلبًا بحسب المقام: (محمَّدٌ قائمٌ لا خالدٌ»[6].

ورد القصر بـ(بل) العاطفة في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام[7]:

(١) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ٣/ ٢٥٨.
(٢) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيَّة بن مالك: ٢/ ٢٣٦.
(٣) ينظر: أساليب البيان، فضل حسن عبَّاس: ١٧٦.
(٤) الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ من علم المعاني، الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ٨٤.
(٥) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٤٠٠.
(٦) البلاغة والتطبيق: ١٧٥.
(٧) ديوانه: ١/ ٤١٨.

أَخُـــو رَسُـــولِ اللهِ بَـــلْ صِـــنْـــوُهُ
وَخَـــيْرُ مَـــاشٍ طَـــابَ أو رَاكِـــب

أفاد القصر بـ(بل) العاطفة الإضراب؛ لأنَّها سُبِقت بإثبات، وأفادت كذلك توكيد المعطـوف. أي تأكيد أنَّ الإمام عليًّا هو شـبيه النبيّ محمَّدﷺ. إذن أفادت (بل) العاطفة القصر، وتقوية المعنى.

وله أيضًا مهنِّئًا الميرزا صالحًا في تُحفةٍ وردت إليه من الشَّاه[1]:

بَـــرَقَـــتْ لا عَـــنْ كَـــذُوبٍ خُـلَّـبٍ
بَـــلْ هَمُـــوعٍ طَـــابَ رَيَّـــاهُ وِذَامـــا

أكَّـد الشـاعر هـذا البيت باسـتعماله (بـل) العاطفة المسـبوقة بـأداة النفـي (لا)، فأفـادت (بـل) العاطفـة القـصر وتأكيـد أنَّهـا برقـت عـن همـوع لا عـن كـذوب خلَّب.

ومن ذلك قوله مهنِّئًا الميرزا صالحًا في تُحفةٍ وردت إليه مِنَ الشَّاه[2]:

لَمْ تَـــزَلْ تَـقْـطُـرُ فِـيـهَـا نِـعْـمَـةً
لا رَذَاذًا بَـــلْ سَـحَـاحًـا وانْـسِـجَـامَـا

أفـاد القصر بـ(بل) نفـي الحكم عن المعطـوف عليه، وإثبات الحكـم للمعطوف، وتأكيد أنَّها تقطر مطرًا غزيرًا، لا مطرًا قليلًا.

ويتبيَّن لنا ممَّا سبق أنَّ الحرفَين (لا وبل) إذا استكملا الشروط يفيدان العطف المفيد للقـصر، ونلاحظ كذلك أنَّ (بل) تشـبه (لا) في العطف بها بعد الإثبات، وتشـبه (بل) (لكن) في العطف بها بعد النفي.

(١) ديوانه: ٢/ ٥٤.
(٢) ديوانه: ٢/ ٦٠.

رابعًا: القصر بأداة التعريف (أل)

التوكيد بالقصر بـ(أل) التعريف سواء «بوجود ضمير الفصل أم بعدم وجوده، وتدخل على الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥)»[١]، وكقولنا: «زيدٌ المنطلقُ يفيد حصر الانطلاق على زيد»[٢]، وبحسب المقام يكون نفيه عن غيره على وجه العموم أو الخصوص[٣]، على أنَّ «وقوع (أل) الجنسيَّة في المبتدأ أو في الخبر يفيد القصر، ويكون المقصور هو ما فيه (أل) على أحد رأيين تقدَّم أو تأخَّر، فالشاعر أنت، وأنت الشاعر. القصر هنا مستفاد من (أل الجنسيَّة)، وهو من قصر الصفة على الموصوف، قصر (الشاعريَّة) الصفة، على الموصوف (الضمير) أنت، وقد تقع (أل الجنسيَّة) في المبتدأ والخبر، مثل أن يُقال: التقوى الكرم والعلماء الخاشعون»[٤]، وفائدة «تعريف المسند قصر المسند على المسند إليه لقصد المبالغة، تقول: زيد الجواد وعمرو الشجاع، فتفيد قصر جنس الجود على زيد، وقصر جنس الشجاعة على عمرو، ولكنَّك لا تقصد القصر الحقيقي.. وإنَّما تقصد المبالغة في وصف زيد بالجود وعمرو بالشجاعة»[٥]، وقد يفيد «تعريف المسند قصر المسند على المسند إليه حقيقة، وذلك كقولك: زيدٌ الشاعرُ، إذا لم يكن هناك في الحقيقة شاعر

(١) الزبدة النحوية والصرفيَّة، د. سيف حلو رسن: ٣٩٧.
(٢) مختصر المعاني، مسعود بن عمر التفتازانيّ: ١/ ٣٦٥.
(٣) ينظر: أساليب القصر في أحاديث الصحيحَين: ١/ ٨٥.
(٤) الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ من علم المعاني، الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ١٩٤.
(٥) خصائص التراكيب (دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني)، د. محمَّد محمَّد أبو موسى: ٣٣٩.

سواه»[١]. إذن يتبيَّن لنا أنْ (أل) الجنسيَّة تدخل على المبتدأ أو الخبر، أو تدخل على الجزأين معًا، وهي في كلِّ الحالات تفيد القصر.

لقد ورد القصر بـ(أل) التعريف في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في رثاء المرحوم الشيخ جَعفر الشوشتريّ[٢]:

فَهُمُ صَفْوَةُ المَهَيْمِن قَامُوا
بِمقامٍ هُوَ المَقَامُ الحَمِيدُ

أكَّد الشاعر المعنى بأداة التعريف (أل) التي دخلت على الخبر، وأفادت القصر وتأكيد المنزلة السامية لهم.

وقال الشاعر حسن مصبح أيضًا في مدح النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله[٣]:

ما زَالَ يَرْقَى في المَكَارِمِ والفِطَنْ
عَرْشُ العُلَا وَهْوَ الصَّدُوقُ المُؤْتَمَنْ

أفاد القصر بـ(أل) التعريف الداخلة على الخبر تقوية للمعنى، وإلصاق صفة الصدق بالنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وإثباتها له.

ومن ذلك قوله في رثاء سيِّد الشهداء الحسين بن عليِّ بن أَبي طالب عليهما السلام[٤]:

فَعَادَ أَبُو السَّجَّادِ فَرْدًا يَخُوضُ في
عُبَابِ الرَّدى وَهوَ الكَمِيُّ المُغَالِثُ

(١) خصائص التراكيب: ٣٤٠.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٤٦.
(٣) ديوانه: ١/ ٢٨٧.
(٤) ديوانه: ١/ ٨٠.

أكّد الشـاعر المعنى بأداة التعريف (أل) الداخلة عـلى الخبر، فأفادت (أل) القصر، وإثبات صفة الشجاعة والشهامة للإمام الحسين عليه السلام.

وله أيضًا مهنِّئًا السيِّدَ حيدر الحِلِّيّ بزواج ولده السيِّد حُسين[1]:

واشْرَبْ عَـلَى ذِكْـرِ الحَـبـيـبِ فَـإِنَّـهُ
الـعَـذْبُ الـرَّقـيـقُ مُمَـازِجًـا نَـفَّـاحَـهَـا

أكَّـد الشـاعر المعنى بـأداة التعريف (أل) الداخلـة على خـبر (إنَّ)، وأفادت (أل) القصر وتقوية المعنى وتوكيده.

(١) ديوانه: ٢/ ٤٨.

خامسًا: القصر بطريق (تقديم ما حقّه التأخير)

يُعَدُّ التقديم «مظهرًا من مظاهر كثيرة تمثِّل قدرات إبانة أو طاقات تعبيريَّة يديرها المتكلِّم اللقن إدارة حيَّة وواعية، فيسخِّرها تسخيرًا منضبطًا للإبانة عن معانيه ومقاصدِه، ومواقع الكلمات في الجملة عظيمة المرونة، كما هي شَديدة الحسَّاسيَّة، وأي تغيير فيها يُحدِث تغييرات جوهريَّة في تشكيل المعاني وأحوالها وصورها وظلالها»[١].

ولا شكَّ في أنَّ التقديم والتأخير «فن رفيع يعرفه أهل البصيرة بالتعبير، والذين أوتوا حظًا من معرفة واقع الكلام يقصده المتكَّلم بعينه لأحوال خاصَّة يقتضيها التعبير، منها أنَّ القاعدة الدلاليَّة هي أنَّ المهم يُقدَّم، وليس رصف الألفاظ على الصورة المعهودة في العربيَّة»[٢].

إذ تُشير «المخالفة للمألوف في التركيب، أي تأخير ما حقّه التقدُّم والعكس، إلى دلالات كثيرة أجملَها الباحثون في ملاحظ تنبع من السياق والمقام، أهمّها التقديم للتبرُّك والتعظيم وارتفاع المنزلة.. والتخصيص والعناية والاهتمام»[٣]، فالتقديم «يدلُّ على القصر بطريق الذوق السليم والفكر الصائب»[٤]، فأضحى تقديم ما حقّه التأخير من وسائل القصر المشهورة في العربيَّة، وما من شكٍّ، فإنَّ ترتيب الجملة الطبيعيّ في الجملة

(١) دلالات التراكيب (دراسة بلاغيَّة)، محمَد محمَّد أبو موسى: ١٩٢.
(٢) علم الدلالة، إنعام محمَّد عيسى: ٩٢.
(٣) المصدر نفسه: ٩٢.
(٤) جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع)، أحمد الهاشميّ: ١٨٢.

الاسـميَّة هو أنْ تبـدأ بالمبتدأ ثمَّ الخبر، وترتيب الجملة الفعليَّة أن يسـبق الفعل، والذي نقصـد به المسـند الفاعـل، ويتبع الفعل الفاعل، ثـمَّ بعد ذلك يأتي المفعـول به بعده[١]، فـإذا حصل تغـيُّر في ترتيب الجملة من تقديم أو تأخير، فإنَّ ذلـك قد يكون لغاية معيَّنة مقصـودة يَلجأ المتكلِّم إليها، فقد يكون التقديم لإعطاء المتقدِّم عناية أو اهتمامًا[٢]، وهوَ عند ابن جنِّي «على ضربَين: أحدُهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسـهله الاضطرار»[٣]، وقد أحسـن عبد القاهر الجرجانيّ القول في ذلك: «هو بابٌ كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرُّف، بعيد الغاية، لايزال يفترُ لك عن بديعةٍ، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولاتزال ترى شِعرًا يروقك مسمعُه، ويلطف لديك موقعُه، ثمَّ تنظر فتجد سببَ أنْ راقك ولطف عندك، أنْ قُدم فيه شيء، وحُوَّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان»[٤].

وعـلى ذلك فيكون تقديم الـشيء عند عبد القاهر الجرجانيّ عـلى وجهَين: «تقديمٌ يقـال إنَّه على نيَّـة التأخير، وذلك في كلِّ شيء أقررته مـع التقديم على حكمه الذي كان عليـه، وفي جنسـه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدَّمته عـلى المبتدأ، والمفعول إذا قدَّمته على الفاعـل، كقولك: منطلقٌ زيدٌ وضربَ عمرًا زيدٌ، معلـوم أنَّ (منطلق) و(عمرًا) لم يخرجـا بالتقديم عـمَّا كانا عليه، من كون هـذا خبر مبتدأ ومرفوعًـا بذلك، وكون ذلك مفعولًا ومنصوبًا من أجله، كما يكون إذا أخّرت»[٥]، وتقديم لا على نيَّة التأخير، ولكن عـلى «أن تنقل الـشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابًا غير بابـه، وإعرابًا غير إعرابه، وذلك أن تجيء الى اسـمين يحتمل كلُّ واحدٍ منهما أن يكـونَ مبتدأ، ويكون الآخر خبرًا

(١) ينظر: أساليب القصر في أحاديث الصحيحَين: ٥٩.
(٢) ينظر: بناء الجملة الاسميَّة في ديوان بني أسد (أشعار الجاهليِّين المخضرمين)، رسالة ماجستير، نور رياض كشاش: ١٣٢.
(٣) الخصائص، ابن جنِّي: ٢/ ٣٨٢.
(٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ: ١٠٦.
(٥) المصدر نفسه: ١٠٦.

لـه، فتقـدِّم تارةً هذا على ذاك، وأخـرى ذاك على هذا. ومثال ما تصنعـهُ بزيد والمنطلق، حيث تقول مرة: (زيدٌ المنطلقُ)، وأخرى (المنطلقُ زيدٌ)، فأنت في هذا لم تقدِّم (المنطلق) على أن يكون متروكًا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان، بـل عـلى أن تنقله عن كونه خبرًا إلى كونه مبتدأ.. وأظهر مـن هذا قولنا: (ضربت زيدًا و(زيدٌ ضربتهُ)»[١].

وواضـح أثر النيَّة عنده في تركيب الـكلام، إذ فيهِ نُلاحظ أنَّ المقدَّم لا يتغيَّر حكمه الإعـرابيّ، لكـن في التقديم الذي لا يكون على نيَّة التأخير، نجـد أنَّ المقدَّم يتغيَّر حكمه الإعرابيّ، وينتقل من حالة إلى حالة، ويكون «توكيد الشيء بإخراج أحد عناصر الجملة من المكان المخصَّص له وتثبيته في غير مكانه»[٢]، إذ إنَّ من نمط العرب في كلامِهم أنَّـهم إذا أرادوا أن يعطوا شيئًا اهتمامًا وعنايةً قاموا بتقديمه[٣]، فالمتقدّم يلقى «اهتمامًا في نفس السـامع والمخاطَب، فيقدَّم بناءً على هذا الغرض الـدلاليّ المفعول على الفعل والفاعل، والخبر على المبتدأ، والحال على صاحبِها»[٤]، فالمقدَّم هو يكونُ المقصور عليه دائما[٥]، إذن التأكيد بالتقديم «يكسب الكلام قوَّة، وذلك لأنَّ الإسناد فيه يتكرَّر مرَّتين»[٦].

ويحـدث التوكيـد بالقصر بتقديم ما حقَّـه التأخير في الجملتَين الاسـميَّة والفعليَّة، ففـي الجملة الاسـميَّة يحصل التوكيد بالقـصر بتقديم ما حقّه التأخـير في مواضع نذكر منها:

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٠٦-١٠٧.
(٢) التراكيب اللغوية في العربية (دراسة وصفية تطبيقية)، هادي نهر: ١٧٩.
(٣) ينظر: النحو العربي (نقد وتوجيه)، د. مهدي المخزومي: ١٤٢.
(٤) أساليب التأكيد والمبالغة في ديوان الخنساء (دراسة دلالية)، مذكرة ماستر، فطيمة ميلي: ٢٦.
(٥) ينظر: في البلاغة العربية (علم المعاني)، قصي سالم علوان: ١٤٣.
(٦) التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى: ٦٧.

الموضع الأوَّل: يقدم الخبر على المبتدأ جوازًا إذا كان «المبتدأ نكرة مضافة، أو نكرة موصوفة»[١]، ويكون تقديمه «لأغراض بلاغيَّة»[٢]، ومن هذه الأغراض البلاغيَّة العناية والاهتمام، جاء في معاني النحو «قد يقدَّم الخبر للاهتمام والعناية»[٣]، نحو قوله تعالى: «﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦)، فقد قدَّم المُسند، وهو الجار والمجرور؛ لغرض القصر»[٤]، أي «دينُكم مقصورٌ عليكم، ودينـي مقصورٌ عليَّ»[٥]، ومثال المبتدأ نكرة موصوفة، نحو «في المجلسِ رجلٌ عالمٌ، فالمبتدأ نكرة موصوفة بـ(عالم)، لذا يجوز الابتداء به، وفي مثل هذه الحالة يجوز تقديم الخبر، ويجوز تأخيره، فنقول: رجلٌ عالِمٌ في المجلِس، وعند تقديمه يكون خبرًا مقدَّمًا جوازًا»[٦]، وكذلك يجوز تقديم الخبر وتأخيره إذا كان «المبتدأ معرفة، نحو ممنوعٌ التدخينُ»[٧]. نخلص ممَّا تقدَّم أنَّ المبتدأ إذا كان نكرة مضافة أو موصوفة، أو كان معرفة، يجوز معه تقديم الخبر وتأخيره؛ لأغراض بلاغيَّة، وهي العناية والحصر.

وفي الموضع الثاني: يحدث التقديم في النواسخ، ومن هذه النواسخ هي (كان وأخواتها، إنَّ وأخواتها)، نحو قولنا: «قائمًا كانَ محمّد، فقدَّم خبر كان على كان، من باب التخصيص، وذلك إذا كان المخاطب يظنُّ أنَّ محمَّدًا كان قاعدًا لا قائمًا، فتصحِّح له هذا الوهم، وتقول إنَّه كان قائمًا

(١) الزبدة النحويَّة والصرفيَّة، سيف حلو رسن: ٣٩٧.
(٢) الأساليب النحويَّة، محسن عليّ عطيَّة: ٢٨٣.
(٣) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ١/ ٢٤٨.
(٤) مسائل الخلاف بين النحويِّين و البصريِّين والكوفيِّين في ضوء النظر البلاغيّ، د. محمود موسى حمدان: ١٤٤.
(٥) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ: ١٥٣.
(٦) الأساليب النحويَّة، محسن عليّ عطيَّة: ٢٨٣.
(٧) الصواب في معرفة القواعد والإعراب، عبد العبَّاس عبد الجاسم: ١٨٨.

لا قاعـدًا»[١]، وكذلك يقدَّم «خبر ليسَ على اسـمها، نحو: زيـدًا ليسَ أخوك»[٢]، فأفاد هـذا التقديم الحصر، ويُقدَّم أيضًا خبر كان وأخواتها على اسـمِها جوازًا، إذا كانَ «الخبر شـبه جملة والاسم معرفة، مثل: ما زالَ بين الناسِ الخيرُ، فنجدُ أنَّ خبر (ما زالَ) الظرف (بـين النـاس) قد تقدَّم على الاسـم، وذلك جائز؛ لأنَّ اسـم (مـا زال) معرفة (الخير)، ويجـوز أنْ نقـول: ما زالَ الخيرُ بينَ الناس»[٣]، هذا يخـصُّ التقديم في كان وأخواتها. أمَّا في إنَّ وأخواتها، فنجد أنَّ «رتبة خبر إنَّ وأخواتها التأخير عن الحرف الناسـخ واسـمه، ولكـنَّ هـذا الترتيب قـد لا يلتزمه النحويُّون، فيجـوز تقديم خبرها إذا كان شـبه جملة حـصرًا»[٤]، وكان اسـمها «معرفة، نحو: أيقنـتُ أنَّ بيَن يدي اللهِ الهِدايةَ، فشـبه الجملة (بـين يدي اللهِ) في محلِّ رفع خـبر (أنَّ) مقدَّم، و(الهداية) اسـم (أنَّ) مؤخَّر جوازًا؛ لأنَّهُ معرفة»[٥].

ويحدث كذلك التوكيد بالقصر بتقديم ما حقّه التأخير في الجملة الفعليَّة في مواضع نذكر منها:

الموضـع الأوَّل: يقـدَّم المفعـول بـه عـلى الفعـل جـوازًا؛ لغرض الحـصر، نحو: (زيـدًا ضربـت)[٦]، أي «تخصيصًـا لـه بالضَّـرب دونَ غـيره، وذلك بخـلاف قولك (ضربـتُ زيـدًا)؛ لأنَّـك إذا قدَّمـت الفعـل كنـت بالخيـار في إيقاعه عـلى أيِّ مفعول شـئتَ، بـأن تقول: ضربـتُ خالدًا أو بكـرًا أو غيرهمـا، وإذا أخَّرته لـزم الاختصاص

(١) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ١/ ٢٤٧.
(٢) الخصائص، ابن جنِي: ٢/ ٣٨٢-٣٨٣.
(٣) النحو الكافي، أيمن أمين عبد الغنيّ: ٢٠٧.
(٤) التقديم والتأخير في نهج البلاغة (دراسة نحويَّة أسلوبيَّة)، رسالة ماجستير، رافد ناجي وادي: ٧٧.
(٥) النحو الكافي، أيمن أمين عبد الغنيّ: ٢٢١.
(٦) ينظر: الحدائق النَّديّة في شرح الفوائد الصمديَّة، عليّ خان المدنيّ: ٢٧٣.

للمفعـول»[1]، وأفاد تقديم المفعـول به على الفعل الاختصاص، وحـصر العبادة بلفظ الجلالـة الله دون غيره، نحو قوله تعـالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، أي اختصاص العبادة والاسـتعانة بالله وحده دون سـواه[2]، هذا بالنسبة إلى تقديم المفعول على الفعل، أمَّا بالنسبة إلى تقديم المفعول به على الفاعل، «فيكون من أغراضِهِ التنبيه على أنَّه الأهم»[3]، و«العناية به أتم»[4]، ولأجل ذلك قال سيبويه: «وإنَّما يقدِّمونَ الذي بيانه أهـمُّ لهُم، وهم ببيانه أعنى، وإنْ كانَ جميعًا يُهمَّانِهـم ويعْنيانِهم»[5]، كما في «قَتَلَ الخارجيَّ فـلانٌ، على أنَّ المقصـود الأهمّ قَتلُ الخارجيّ للتخلُّصِ مِـن شرِّهِ»[6]. فيتبين لنا ممَّا تقدَّم أنَّ المفعـول به يُقَـدَّم في الجملة الفعليَّة لأغـراض بلاغيَّة، ومن هذه الأغـراضُ العناية والاهتمام والحصرِ أيضًا.

أمَّا في الموضع الثاني: قيتقدَّمُ المفعول لأجله على الفعل لغرض الحصر، نحو: احترامًا لكَ قُمـتُ[7]، **وفي الموضـعِ الثالثِ**: «يتقدَّمُ الحـال على الفعل والفاعـل؛ للاختصاص والتنبيـه على هيئة صاحبِها»[8]، كقولِنا: ظافِرًا عاد الجيـشُ، بتقديمها على الفعل، وأفادَ هذا التقديم القصر والتوكيد[9].

(١) المثل السائر، ابن الأثير: ٢/ ٣٨.
(٢) ينظر: خصائص التراكيب (دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني)، محمَّد محمَد أبو موسى: ٤٠٠.
(٣) نحو اللغة العربيَّة الوظيفيّ في مقاربة أحمد المتوكِّل، أ.د. عبد الفتاح الحموز: ٢٢٦.
(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ: ٩٦.
(٥) كتاب سيبويه: ١/ ٣٤.
(٦) نحو اللغة العربيَة الوظيفيّ في مقاربة أحمد المتوكِّل، عبد الفتاح الحموز: ٢٢٦.
(٧) ينظر: مختصر النحو، د. عبد الهادي الفضلّي: ٢٣٣.
(٨) التقديـم والتأخير في النتاج النقـديّ والبلاغيّ عند العرب، أطروحة دكتـوراه، زينة غني عبد الحسين: ١١٧.
(٩) ينظر: أساليب التأكيد في اللغة العربيَّة، إلياس ديب: ٦٩.

وقولُنا: جاء راكبًا زيدٌ، ففي هذا المثال قدّمت الحال على الفاعل[١]، أمَّا في الموضع الأخير فيتمُّ تقديم الظرف على عامله، إذ إنَّ «أغراض تقديم الظرف لا تكاد تختلف عن غيرها من أغراض تقديم المفعول والحال ونحوهما، وكلُّها مختبئة داخل معطف العناية والاهتمام»[٢]، نحو قوله تعالى: «﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ (الملك: ٢٩)، ففي هذه الآية قُدِّم الجار والمجرور على الفعل؛ لأنَّ التوكُّل لا يكون إلَّا عليه»[٣]، فأفاد هذا التقديم القصر[٤]، وكذلك يتقدَّم ظرف الزمان على ركنَي الجملة الفعليَّة (الفعل والفاعل)؛ للعناية والاهتمام وإفادة الحصر، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣)[٥].

إذن تقديم المعمول يفيد الحصر؛ لذلك قال السيوطيّ: «كاد أهل البيان يطبقون على أنَّ تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء كانَ مفعولًا أو ظرفًا أو مجرورًا»[٦].

وخلاصة الكلام أنَّ التقديم يكون على نوعَين (واجب، وجائز)، فالتقديم إذا كان واجبًا لا يفيد التوكيد؛ لأنَّه أسلوب اتَّخذته العربيَّة وارتكزت عليه في بنائها، فتقدَّم الشيء الذي له حقُّ التقدُّم في الكلام، كتقديم المفعول به إذا جاء اسم شرط أو اسم استفهام، أو تقدّم الشيء خوفًا من الالتباس إذا تأخَّر، إذن لا يمكننا أن نعتمد كلَّ تقديم يفيد القصر والتأكيد، أي يكون التوكيد فقط في التقديم الجائز، أي بتقديم ما حقّه أن يتأخّر، أمَّا التقديم الواجب، فلا يفيد الحصر أبدًا.

(١) ينظر: المثل السائر، ابن الأثير: ٢/ ٤٤.
(٢) التقديم والتأخير في النتاج النقديّ والبلاغيّ عند العرب، أطروحة دكتوراه، زينة غني عبد الحسين: ١١٠.
(٣) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ٣/ ١٠٦.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ١٠٦.
(٥) ينظر: الزبدة النحويَّة والصرفيَّة، سيف حلو رسن: ٣٩٧.
(٦) الإتقان في علوم القرآن، الإمام جلال الدين السيوطيّ: ٣/ ١٥٦.

ورد التوكيد بالقصر بتقديم ما حقّه التأخير في ديوان حسن مصبّح في الجمل الاسميَّة والفعليَّة:

التقديم والتأخير في الجمل الاسميَّة ونواسخها

أوَّلًا: تقديم الخبر جوازًا

جاء تقديم الخبر على المبتدأ جوازًا في ديوانه في مواضِع عديدة، منها قوله في مديح بعضِ أُمراءِ العرب[1]:

أَيُّهَا الرَّاكِبُ المُجِدُّ رُوَيْدًا
أَيْنَ تَسْرِيْ وَفِي البِلادِ الأَمِيرُ؟!

قدَّم الشاعر الخبر شبه الجملة (الجار والمجرور) (في البِلادِ) على الاسم المعرَّف، وهو (الأمير)، وهذا التقديم جائز أفاد تقوية المعنى، والعناية بالخبر، وتأكيد وجود الأمير في البِلاد.

وقالَ الشّاعرُ حسن مصبِّح أيضًا في رِثاءِ سيِّدِ الشُّهداءِ الحُسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليهما السلام[2]:

للهِ أُسْدٌ كَرِيْهَةٍ
كَرِهَ الحِمَامُ لِقَاءَهَا

قدَّم الشاعرُ الخبرَ شبه الجملة لفظ الجلالة (للهِ) على المبتدأ المضاف، وهو (أُسْد كريهةٍ)، وهذا التقديم جائز أفاد القصرَ وتقوية المعنى، وتأكيد أنَّ للهِ أُسدًا كريهة لا يحبُّ الموتُ لقاءَها.

(١) ديوانه: ١/ ٢٤.
(٢) ديوانه: ١/ ٥٥.

ولهُ أيضًا مخمِّسًا أبيات الفَرَزْدَقِ في الإمام عليِّ بنِ الحُسينِ عليهما السلام[١]:

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقُ
مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ، فِي عِرْنِينِهِ شَمَمَ

قدَّم الشاعر الخبرَ شبة الجملة (في كفِّهِ) على المبتدأ الموصوف (خيزرانٌ ريحُهُ عَبِقُ)؛ لغرض التخصيص، أي أراد الشاعر أن يخصَّ الإمام زين العابدين بوجود «غصن مُتشنٍّ»[٢] في كفِّه، وتنتشر من هذا الغصن رائحة طيِّبة.

ثانيًا: التقديم في النواسخ (كانَ وأخواتها، إنَّ وأخواتها)

ورد تقديم أخبار النواسخ في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها:

١. تقديم خبر كانَ:

وردَ تقديم خبر كانَ في ديوانه في مواطن عديدة، منها قوله في الغزل[٣]:

رَكِينًا كُنتُ قَبلَ اليَومِ لَكِنْ
أَرَانِي لَمْ أُطِقْ ذَا اليَومَ صَبْرَا

قدَّم الشاعر خبر كانَ، وهو (ركِينًا) على كان واسمها (كُنتُ)، تقويةً للمعنى، ولغرض جلب انتباه السامعين إلى الخبر، أي التأكيد على اتِّصافه بالصبر في السابق، لكنَّه في الوقت الحالي لم يتحلَّ بالصبر.

وقال الشاعر حسن مصبِّح أيضًا في الغزل[٤]:

(١) ديوانه: ١/ ١٧٠.
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، (مادَّة خزر)، محمَّد مرتضى الحسينيّ: ١١/ ١٥٩.
(٣) ديوانه: ٢/ ٣٩٨.
(٤) ديوانه: ٢/ ٣٩٩.

زَعِـيـمًا كُـنـتُ قَـبـلَ الحُـبِّ لَـكِـنْ
لَـهُ طَـوْعًـا نَـزَعْـتُ عُـلًا وَعِـزّا

قدَّم الشاعر خبر كان (زعيمًا) على كان واسمها (كنتُ)؛ للاهتمام بالخبر، وتأكيد اتِّصافه بالزعامة في السابق.

ولهُ أيضًا مقرِّظًا على كتابِ التمسوه على تقريظه[1]:

فِي كُـلِّ فَـنٍّ إنْ أَتَـتْـهُ مُـفِـيـدُهَـا
عِـلْـمًا يَـرُوقُ وَ كَـانَ فِـيـهِ الْمُجتَبى

قدَّم الشاعر خبر كان، وهو (فيه)، على المبتدأ المُعرَّف، وهو (المجتبى)؛ لغرض العناية بالخبر، وأفاد هذا التقديم القصر وتقوية المعنى.

وعاتَبَهُ مُحسِن العذاريّ على رثاءِ وَلَدِهِ، فأجابَه بهذه الأبيات[2]:

وَقَـدْ حَـكَـمَ الإِلَـهُ وَكَـانَ عَـدْلا
قَـضَـاءُ اللهِ فِي قَـاصٍ وَدَانِ

قدَّم الشاعر خبر كان (عَدلًا)، على اسمها المضاف، وهو (قضاءُ اللهِ)؛ لغَرضِ التخصيصِ والتنبيهِ على عدالة اللهِ في حُكمِه، فنجدُ هذا التقديم أفاد القصر وتقوية المعنى.

٢. تقديم خبر صارَ:

ورد تقديم خبر صار على اسمها في ديوان حسن مصبح في موضع واحدٍ فقط. فله مخمِّسًا قصيدة السيِّد حَيدر في مَدحِ صَحْنِ الإمام الكاظِم عليه السلام[3]:

(١) ديوانه: ٢/ ٢١٩.
(٢) ديوانه: ٢/ ٣٠٩.
(٣) ديوانه: ١/ ٢٢٠.

صَنعَةُ الشِّعرِ صَارَ لِيْ مُنْتَهَاهَا

قدَّم الشاعر خبر صار (لي)، على اسمِها المضاف، وهو (منتهاها)؛ لغرض العناية بالخبر والاهتمام به، وتقوية المعنى وتأكيد أنَّ نهاية صنعة الشعر له.

٣. تقديم خبر ليس:

ورد تقديم خبر ليسَ في ديوان حسن مصبِّح في موضع واحد فقط، فللشاعر مُقرِّظًا ديوانَ المَرحومِ السَّيّد حَيْدَرٍ[١]:

لَكَ اللهُ أَوضِحْ لِي فَلَيسَ (بِوَاصِلٍ
إلى ابْنِ عَطَاءٍ)، مِنْكَ نَفْثُ لِساني

قدَّم الشاعر خبر ليس (بواصل)، على اسمها (نفث لساني)، وأفادَ هذا التقديم القصر وتقوية المعنى.

٤. تقديم خبر إنَّ:

ورد تقديم خبر إنَّ على اسمها في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في رِثاءِ وَلَدِهِ وابنتِهِ اللذَين ماتا في أسبوعٍ واحِدٍ[٢]:

فَذَوَتْ بَعْدَمَا تَرَاءَتْ لِعَيْنِي
أنَّ مِنْهَا نَضَارَةَ الأُقْحُوانِ

قدَّم الشاعر خبر (أنَّ) على اسمها؛ لغرض تقوية المعنى، والعناية بالخبر، وتأكيده.

وقالَ الشاعر حسن مصبِّح أيضًا مُهَنِّئًا السيِّد حَيْدَرَ الحِلِّيّ بزَواجِ ابنِ أخيه السيِّد داوودَ[٣]:

(١) ديوانه: ٢/ ٣١٢.
(٢) ديوانه: ٢/ ١٠٦.
(٣) ديوانه: ٢/ ٩٨.

فَـتَـخَـالُ أنَّ عَـلَى الـصَّـعِـيـدِ نُـجُـومَـهَـا
لَـمَـعَـتْ فَـجَـلَّـلَـتِ الـــوَرَى أَضْـــوَاءَهـــا

ففـي جملـة (أنَّ عَلَى الصَّعِيـدِ نُجُومَهَا)، نجد الشـاعر قـامَ بتقديم خـبر أنَّ (على الصّعيد) على اسمها المضاف (نجومها)؛ لغرض الاهتمام بالخبر.

ولهُ أيضًا مُقَرِّظًا العِقد المُفَصَّل للسيِّدِ حَيْدَر الحِلِّيّ في آلِ كُبَّة[1]:

خُـــذْهُ إلَـيـكَ (أَبَـــا الهَـــادِي) فَـــإنَّ بِـهِ
رَحِـيْـقَ قُـدْسٍ وفي قَـلْـبِ الـعِـدَى حُـرُقَـا

نجد في جملة (فَإنَّ بِهِ رَحِيقَ قُدْسٍ) تقديم خبر إنَّ على اسمِها المضاف (رَحِيْقَ قُدسٍ)، والغرض من هذا التقديم التخصيص وجلب انتباه السامعين إلى الخبر والاهتمام به.

التقديم والتأخير في الجمل الفعليَّة

١. تقديم المفعول به على فعله:

ورد تقديم المفعول به على فعله في ديوان حسن مصبِّح في موضع واحد فقط، قوله في رثاء سيِّد الشُّهداءِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليهما السلام[2]:

آلُـــهُ الـغُـــرُّ تَـقْـتُـلُـونَ فَـرِيْـقًـا
وفَـرِيـقًـا تَـسْـبُـونَ سَـبـيَ الإِمَـــاءِ؟!

قـدَّم الشـاعر المفعـول بـه (فَرِيْقًـا) عـلى الفِعـل (تَسْـبُونَ)؛ للعِنايـةِ والاهتـمام بالمفعـول بـه، أي تأكيد سـبي الإنـاث والأطفـال، وأفـاد هـذا التقديم تقويـة المعنى والقصر.

(١) ديوانه: ٢/ ٢٠٣.
(٢) ديوانه: ١/ ٥٠.

٢. تقديم المفعول بهِ على فاعله:

ورد تقديم المفعول به على الفاعل في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في رثاء والدة السيِّد مُحَمَّد حُسيْن ابنِ السيِّدِ ربيع رحمه الله[١]:

يَتَّمَتْ قَلْبَهُ حِسَانُ المَعَالِيْ
فَهَواهَا عَنْ ذَاتِ خَصْرٍ نَحِيفِ

قدم الشاعر المفعول به (قلبَه) على الفاعل (حِسان المعالي)؛ للعناية والاهتمام بالمفعول به، وأفاد التقديم القصر وتقوية المعنى، وتأكيد أنَّ النساء الجميلات يَتَّمَنْ قلبه، فَهواهنَّ عن ذاتِ خصر نحيف.

وقال الشاعر حسن مصبِّح أيضًا في رثاء العبّاسِ عليه السلام[٢]:

وَالوَحشُ تَختَلِفُ اختِلافَ ظِلَالِهَا
فِيهَا فَيَرْتَقِبُ الهُصُورَ السَّيِّدُ

فقدم الشاعر المفعول به (الهصور) على الفاعل (السيِّد)؛ للعناية بالمفعول به، وأفاد هذا التقديم القصر، والتأكيد على ارتقاب السيِّد الأسدَ.

ومن ذلك قوله في رِثاءِ سيِّد الشُّهداءِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليهما السلام[٣]:

وَأَرسَى حُلُومًا مِنْ هِضَابٍ شَوامِخٍ
وَأَسْرَعُ وَثْبًا إنْ دَعَا النَّصرَ طَالِبُ

(١) ديوانه: ٢/ ٧٥.
(٢) ديوانه: ١/ ١٤٢.
(٣) ديوانه: ١/ ٦٠.

قدَّم الشاعر المفعول به، وهو (النَّصر) على الفاعل (طالبُ)؛ للعناية والاهتمام بالمفعول به، والغرض من هذا التقديم القصر وتقوية المعنى، وتأكيد مساعدة المظلوم ومساندته في الانتصار على عدوِّه.

٣. تقديم المفعول لأجله على الفعل:

ورد تقديم المفعول لأجله على فعله في ديوان حسن مصبَّح في موضع واحد، قوله في ندبةٍ لصاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف[١]:

طَمَعًا أنْ يَدِينَ لِلضَّيمِ شَهمٌ
عَزْمُهُ في الهِيَاجِ يُورِي الوَطِيسَا

قدَّم الشاعر المفعول لأجله (طمَعًا)؛ للاهتمام به، وتأكيد أن يدين للضيم شهم شجاع؛ لأجل الطمع وإصراره يشعلُ الحرب.

٤. تقديم الحال على الفعل:

وردَ تقديم الحال على الفعل في ديوان حسن مصبِّح في مواطن عديدة، منها قوله في رثاء الإمام الحُسَين عليه السلام[٢]:

فَرَحًا نَادَى أخَذْنَا لِلْجُدُودْ
ثَارَ مَنْ مِنْهُمْ بِبَدرٍ قُتِلَا

قدَّم الشاعر الحال (فَرحًا) على الفعل (نادى)؛ للاختصاص، وأفاد هذا التقديم الحصر، وتأكيد أنَّه نادى فرَحًا أخذنا للجدود حقَّ مَن مِنهم ببدرِ قُتِل.

(١) ديوانه: ١/ ٦٠.
(٢) ديوانه: ١/ ٤٣٠.

وقال الشاعر حسن مصبِّح أيضًا في رثاء الإمام العبَّاس بنِ عليٍّ عليهما السلام[١]:

بِـمُـفْـرَدِهِ عَـادَ جَمْـعُ الـعَـدُوِّ
بَـدَائِـدَ فِي مَـهْـمَـهٍ بَـلْـقَـعِ

قدم الشاعر الحال وهو شبه جملة (بمفرده) على الفعل (عادَ) للاهتمام بالحال وتأكيد أنَّ العدو عادَ مُنفَرِدًا وَ«مُتفرّقًا»[٢] في «الأرض القَفْر التي لا شيء لها، ويُقال منزِلٌ بَلْقَعٌ»[٣]، وأفاد هذا التقديم تقوية المعنى.

ولهُ أيضًا في مدحِ أمير المؤمنين عليه السلام[٤]:

مُـسْـتَـبْـشِرًا يَـلْـقَـى الـكَـتِـيـبَـةِ والـرَّدَى
لِـحُـسَـامِـهِ يَـومَ الـلِّـقَـا حِـربَـاءُ

قدم الشاعر الحال (مستبشرًا) على الفعل (يلقى)؛ للتخصيص، أي تخصيص حالة التفاؤل، ومعنى ذلك أنَّه كانَ متفائلًا في حالة لقائه الجيش والمعركة، ونجد الشاعر «شبَّه الموت بـ(حرباء)؛ لأنَّه يدورُ مع سيفِ الإمام عليّ عليه السلام في المعركة؛ لِقَبضِ الأرواحِ»[٥].

٥. تقديم شبه الجملة على الفعل:

ورد تقديم شبه الجملة على الفعل في ديوان حسن مصبِّح في نمطين، هما:

(١) ديوانه: ١/ ٤٤١.
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، (مادَّة بدد)، السيِّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ: ٧/ ٤٠٤.
(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، (مادة بلقع): ٢٠/ ٣٥٩.
(٤) ديوانه: ١/ ٢٤٤.
(٥) ديوانه: ١/ ٢٤٤، هامش ٤.

النمط الأوَّل: تقديم (الجار والمجرور) على الفعل، في قوله في الغزل[1]

إلى اللهِ أَشْكُـوْ مِـنْ هَـوًى خَـامَـرَ الحَشَى
وَبَـــدَّدَ شَـمْـلَ الـصَّـبْـــرِ حَـيْـثُ أَفَـــاءَا

قدم الشـاعر شـبه الجملة (الجار والمجرور) (إلى اللهِ) على الفعل (أشكو)؛ لغرض حصر الشـكوى في اللهِ لفـظ الجلالة، ولا تتعـدَّاهُ إلى غيره، ومعنى ذلـك إلى اللهِ وحده لا غيره أبُثُّ شكوى في هوًى مازَجَ الحشى.

ولَهُ أيضًا مِنْ أبياتٍ مُجَنَّسةٍ في مدحِ أمير المؤمنينَ عليه السلام[2]:

إلَـيْـكَ أخَـا الـنَّـبـيِّ أَبُـــثُّ شَـكْـوَى
وَلَا أَلْـقِـي لِـغَـيْـــرِكُـمُ سُـــؤَالا

قدم الشـاعر شـبه الجملة الجار والمجـرور (إليكَ) على (أخا النّبـيّ أبثُّ)؛ لغرض التخصيص وحصر الشـكوى في أمير المؤمنين عليه السلام وحدَهُ، أي إنَّني أبثُّ همومي وأحزاني لك يا أمير المؤمنينَ ولا أشتكي لِغَيرِك.

ومـن ذلـك قولـه في مـدح آيـة الله العُظمـى الإمـام المـيرزا محمَّـد حسـن الشِّيرازيّ[3]:

في بَـيْـتِـهِ نَـــزَلَ الـفُـرْقَـانُ واتَّـضَـحَـتْ
بِـهَـدْيِـــهِ مُـشْـكِـلَاتُ الآيِ والحِـكَـمِ

فنجد الشـاعر قدَّم شبه الجملة الجار والمجرور (في بيتِهِ) على الفِعل (نَزَلَ)؛ لغرض إكساب المعنى قوَّةً وتأكيدًا.

(١) ديوانه: ١/ ٢٧.
(٢) ديوانه: ١/ ٧٤٤.
(٣) ديوانه: ١/ ٣٦٢.

النمط الثاني: تقديم شبه الجملة الظرفيَّة على الفعل

جاء تقديم شبه الجملة الظرفيَّة على الفعل في ديوان حسن مصبِّح في موضعٍ واحدٍ، قولهِ في رثاء الإمام الحُسَينِ عليه السلام[1]:

تَـــــارَةً يَـــنـــظُـــرُ لـلـصَّـحْـبِ
عَـلى الـتُّـــرْبِ ضَـحَـايَـا كَـالـنُّـجُـومْ

الشاعر قدَّم ظرف الزمان (تارةً) على الفعل (يَنْظُرُ)؛ لغرضِ تقوية المعنى، والدلالة على أنَّه أحيانًا ينظرُ للصَّحبِ الذين يبذلون أنفسَـهم لأجل الدين ضحايا كالنُّجومِ، أي يشبِّههم بالنجوم من حيث الضياء.

(١) ديوانه: ١/ ٤٣٣.

خاتمة البحث

١. تناول الشاعر القصر بجميع طرقه في شعره، فاستخدم القصر بالنفي والاستثناء، والقصر بـ(إنَّما)، والقصر بأدوات العطف، والقصر بأل التعريف، وكذلك القصر بالتقديم.

٢. في القصر بالنفي والاستثناء، استعمل الشاعر أدوات نفي متنوِّعة، وهي (ما، لا، لَمْ، ليس، لن، وهل المستعملة في النفي)، وكذلك لم يقتصر على الاستثناء بـ(إلَّا)، وإنَّما استعمل الاستثناء بـ(غير، وسوى).

٣. ورد القصر بالنفي والاستثناء بنسب قليلة، فمثلًا القصر بـ(هل مع إلَّا، لا مع سوى، ما مع غير، ليس مع غير)، ورد كلُّ واحدٍ منها في موضعَين، أمَّا القصر بـ(لن مع سوى، ولا مع غير)، فقد ورد كلُّ واحدٍ منهما في موضعٍ واحد.

٤. استعمل الشاعر القصر بـ(إنَّما) كثيرًا، فـ(إنَّما) هي من طرق القصر المعروفة لدى علماء البلاغة، وتُستعمل لخبر يعرفه المخاطَب، أمَّا النفي والاستثناء، فيُستعمل لخبر لا يعرفه المخاطب.

٥. استعمل الشاعر القصر بأداتَي العطف (لا، بل)، ولم يستعمل القصر بأداة العطف (لكنْ) في شعره.

٦. التقديم الجائز يدلُّ على القصر، فالغرض من التقديم والتأخير في عناصر الجملة، هو توصيل المعنى المراد، وتحقيق الفهم الصحيح، والعناية

بالشيء المتقدِّم، والاهتمام به، وقد أظهر الشاعر ميلًا واضحًا في استعماله لذلك.

٧. تنوُّع التقديم والتأخير عنده، فكان في الجمل الاسميَّة ونواسخها، وفي الجمل الفعليَّة أيضًا.

٨. ورد تقديم خبر (صار) على اسمها في موضع واحد، وكذلك ورد تقديم خبر (ليس) في موضع واحد أيضًا.

٩. لم يقتصر التقديم على المُسنَد في شِعر حسن مصبِّح، ولكن حصل تقديم أيضًا في المتعلِّقات، مثل (شبه الجملة الظرفيَّة، والجار والمجرور)، و(المفعول به، والحال والمفعول لأجله)، والغرض من تقديم المُسنَد والمتعلِّقات والفضلات؛ هو الاهتمام والتخصيص والقصر.

١٠. ورد تقديم المتعلِّقات والفضلات في شعر حسن مصبِّح بنسبة قليلة جدًّا، كالمفعول به على فعله، والظرف والمفعول لأجله، إذ كلُّ واحد من هذه المتعلِّقات والفضلات قُدِّم في موضعٍ واحدٍ فقط.

١١. لم يرِد القَصر بضمير الفصل في شعر حسن مصبّح.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

الكتب

١. الإتقـان في علوم القرآن، جلال الدين السـيوطيّ (ت٩١١ هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، إصدارات وزارة الشؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربيَّة السعوديَّة، د.ط، د.ت.

٢. الأداء الجـماليّ في البناء التركيبيّ مـن علم المعاني، د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣. الإرشـاد في معرفـة حجج الله على العباد، الشـيخ أبو عبـد الله محمَّد بن محمَّد ابـن النعمان العكبريّ البغداديّ (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسَّسـة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤. أساليب البيان، أ.د. فضل حسن عبَّاس، دار النفائس، عمَّان، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥. أسـاليب التَّأكيد في اللغة العربيَّـة، إلياس ديب، دار الفكـر اللبنانيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

٦. أسـاليب القصر في أحاديث الصحيحَين ودلالاتهـا البلاغيَّة، د. عامر بن عبد الله الثبيتيّ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوَّرة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧. الأساليب النحويَّة (عرض وتطبيق)، د. محسن عليّ عطيَّة، دار المناهج، عمَّان، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٨. أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، محمَّد حسين أبو الفتوح، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٥.

٩. الإيضاح في علوم البلاغة، الشيخ الإمام الخطيب القزوينيّ (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمَّد عبد القادر الفاضليّ، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٠. البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، العراق، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسينيّ، أبو الفيض الملقَّب بمرتضى الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت).

١٢. التراث اللغويّ العربيّ، بوهاس، جيوم، كولوغلي، ترجمة: أ.د. محمَّد حُسين عبد العزيز، و د. كمال شاهين، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

١٣. التراكيب اللغويَّة في العربيَّة (دراسة وصفيَّة تطبيقيَّة)، د. هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٧.

١٤. التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامريّ، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، بغداد، ط١، ١٩٩٦م.

١٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٣٦٢هـ)، منشورات دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١٢، (د.ت).

١٦. الحدائق النَّديَّة في شرح الفوائد الصمديَّة، السيِّد عليّ خان المدنيّ الشيرازيّ، تصحيح وتحقيق وتعليق: د. أبو الفضل سجادي، مطبعة روح الأمين، قم، ذوي القُربى، ط٢، ١٤٣٢هـ.ق/ ١٣٩٠هـ.ش.

١٧. خصائص التراكيب (دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني)، د. محمَّد محمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، ط٢، (د.ت).

١٨. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنِّيّ (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمَّد عليّ النجَّار، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٥٢م.

١٩. دلالات التراكيب (دراسة بلاغيَّة)، د. محمَّد محمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، ط٥، ١٤٢٥هـ/ ٢٠١٤م.

٢٠. دلائل الإعجاز في علم المعاني، الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمَّد الفارسيّ الأصل، الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، شرح غامضه وخرَّج شواهدَه وقدَّم له ووضع فهارسَه: د. ياسين الأيُّوبيّ، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢١. ديوان الشَّيخ حَسَن مُصبِّح الحِلِّي، الشيخ حسن مصبِّح الحِلِّيّ (١٢٤٧-١٣١٧هـ)، تحقيق وتعليق: د. مُضر سُليمان الحِلِّيّ، مراجعة وضبط: مركز تراث الحِلَّة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، كربلاء، العراق، دار الكفيل، ط١، ١٤٤٠ هـ/ ٢٠١٩م.

٢٢. ديوان الفرزدق، شرح وضبط وتقديم: أ. عليّ فاعور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٣. ديوان لبيد بن ربيعة، لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامريّ (ت ٤١هـ)، اعتنى به: حمد وطماس، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٤. الزبدة النحويَّة والصرفيَّة، د. سيف حلو رسن، الدار المنهجيَّة، عمَّان، ط١، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.

٢٥. شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله العقيليّ الهمدانيّ المصريّ (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ت١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٢، (د.ت).

٢٦. شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاوي، منشورات دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

٢٧. الصواب في معرفة القواعد والإعراب، عبد العبَّاس عبد الجاسم، دار دجلة، عمَّان، ط١، ٢٠١٠م.

٢٨. ظواهر تركيبيَّة في مقابسات أبي حيَّان التوحيديّ (دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة)، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٩. علم الدلالة، إنعام محمَّد عيسى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣٠. في البلاغة العربيَّة (علم المعاني)، قصي سالم علوان، جامعة البصرة، البصرة، العراق، (د.ط)، ١٩٨٥م.

٣١. في النحو العربيّ (نقد وتوجيه)، د. مهدي المخزوميّ، دار الرائد العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٢. كتاب سيبويه، أبو بشر عَمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمَّد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمَّد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلِّيّ (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر، (د.ط)، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٣٤. مختصر المعاني، مسعود بن عمر التفتازانيّ (ت٧٩٢هـ)، مكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣٥. مختصر النحو، د. عبد الهادي الفضليّ، دار الشروق، جدَّة، ط٧، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٦. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرَّائيّ، دار الفكر، عمَّان، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٧. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمَّد بن عليّ السكاكيّ (ت٦٢٦هـ)، حقَّقه وقدَّم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداويّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٨. مـن أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيـس، مكتبة الأنجلو المصريَّـة، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦.

٣٩. من نحو الجملة إلى نحو النصِّ (دراسـة أسلوبيَّة في شعر أبي تمَّام)، أ.د. سامي عليّ جبَّار المنصوريّ، دار الرضوان، عمَّان، ط١، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

٤٠. النحو التطبيقيّ، أ.د. هادي نهر، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤١. النحـو الـكافي، أيمن أمين عبـد الغنيّ، مراجعـة: أ.د. رمضان عبـد التوَّاب وآخرون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٤٢. نحو اللغة العربيَّة، د. محمَّد أسـعد النادريّ، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٤٣. نحـو اللغة الوظيفـيّ في مقاربة أحمد المتـوكِّل، أ.د. عبد الفتَّـاح الحموز، دار جرير، عمَّان، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٤٤. نحـو المعاني، أحمد عبد السـتَّار الجـواريّ، مطبعـة المجمع العلمـيّ العراقيّ، (د.ط)، ١٩٨٧م.

٤٥. الواضـح في القواعـد النحويَّـة والأبنية الصرفيَّة، د. محسـن عـليّ عطيَّة، دار المناهج، عمَّان، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

الرسائل والأطاريح

١. أسـاليب التأكيد والمبالغة في ديوان الخنسـاء (دراسـة دلاليَّة)، مذكِّرة ماستر، فطيمـة ميلي، كليَّة الآداب واللغات، جامعة منتـوري، بإشراف أ.د. يمينة بن مالك، مايو ٢٠١١م.

٢. بناء الجملة الاسميَّة في ديوان بني أسد (أشعار الجاهليِّين والمخضرمين)، رسالة ماجستير، نور رياض كشاش، كليَّة التربية، جامعة كربلاء، بإشراف: أ.د.عبد الكاظم محسن الياسريّ، جمادى الأولى١٤٣٥هـ/ آذار ٢٠١٤م.

٣. التقديم والتأخير في النتاج النقديّ والبلاغيّ عند العرب، أطروحة دكتوراه، زينة غني عبد الحسين الخفاجيّ، كليَّة التربية، جامعة بابل، بإشراف: أ.د. هناء جواد عبد السَّادة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤. التقديم والتأخير في نهج البلاغة (دراسة نحويَّة أسلوبيَّة)، رسالة ماجستير، رافد ناجي وادي الجليحاويّ، كليَّة التربية، جامعة بابل، بإشراف: أ.م.د. سعدون أحمد عليّ الربعيّ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

البحوث المنشورة

١. تجلِّيات الجمال في أسلوب القصر، د. عبد الرحيم محمَّد الهبيل، مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة (سلسلة الدراسات الإنسانيَّة)، المجلَّد التاسع عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠١١م.